جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

خصائص المفاضلة في شعر المديح عند الكيذاوي
(دراسة بلاغية نقدية)

إعداد

د/ هبة نبيه حسن سليم

مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بكفر الشيخ

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

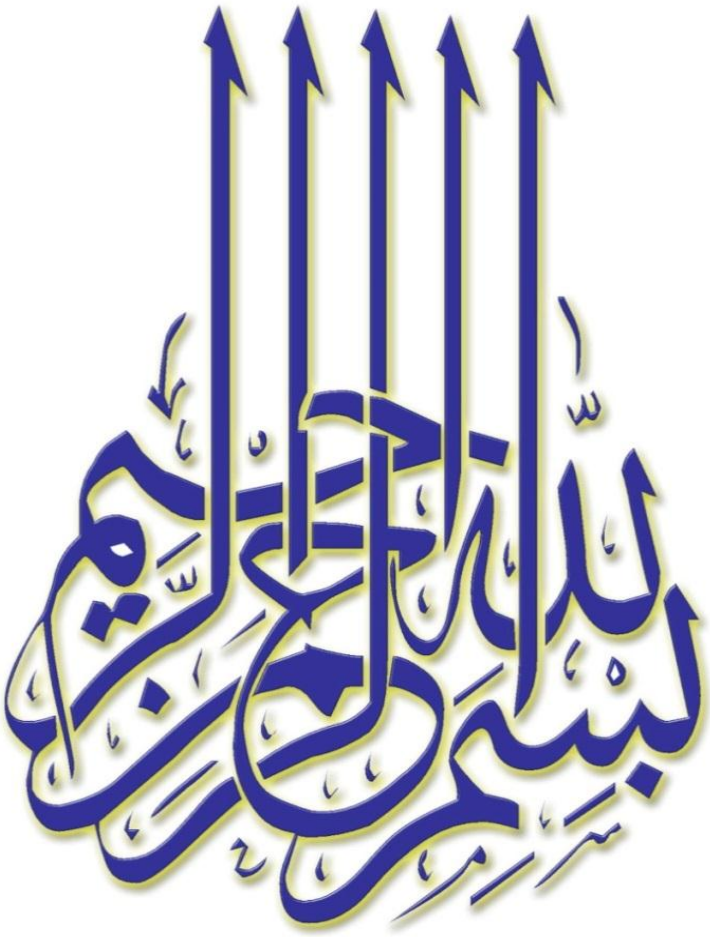
بسم الله الرحمن الرحيم

خصائص المفاضلة في شعر المديح عند الكيذاوي (دراسة بلاغية نقدية)

هبة نبيه حسن سليم

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: hebanabeah150@azhar.edu.eg

الملخص:

يقوم هذا البحث بدراسة موضوع (خصائص المفاضلة في شعر المديح عند الكيذاوي) – دراسة بلاغية نقدية–، وهي دراسة تبحث في الإبداع الشعري للشاعر العماني (الكيذاوي)؛ لتجلية أسلوب بلاغي يمثل ظاهرةً بارزةً في شعره، وهو (المفاضلة). ويهدف البحث إلى إظهار الدور البلاغي الذي قامت به المفاضلة في مديح الكيذاوي من بيان الفروق بين المنازل والارتقاء بالدرجات، وبيان أنواع المفاضلة من حيث تنوعها إلى صريحة وضمنية، والكشف عن الخصائص البلاغية والأسرار الجمالية التي تكمن وراء المفاضلة، وأسرار نظمها، وكيف تتصاعد حتى تحقق المبالغة المقصودة في المديح، وجاء البحث في خمسة مباحث مسبوقة بمقدمة وتمهيد، المبحث الأول: التمهيد للمفاضلة والتوطئة لها، المبحث الثاني: تنوع بنية المفاضلة، المبحث الثالث: التدرج في بنية المفاضلة، المبحث الرابع: استلهام الشخصيات التراثية في بناء المفضل عليه، المبحث الخامس: المفاضلة وسيلة للاستدراج والإقناع، ثم جاءت الخاتمة وفيها أهم النتائج التي ترتب عليها البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع، والموضوعات، ويقوم منهج دراسة هذه الظاهرة على المنهج الاستقرائي، القائم على استقراء الظاهرة وتتبعها في الديوان، والمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تتبع الظاهرة عند الكيذواي، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا، وبيان ما فيها من أسرار دقيقة، وإشارات متنوعة.

الكلمات المفتاحية: الخصائص، المفاضلة، التصريحية، الضمنية، الكيذاوي.

Characteristics of Comparison in Al-Kidhawi's Praise Poetry (A Critical Rhetorical Study)

Heba Nabeeh Hassan Salim
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University, Egypt.
Email: hebanabeah150@azhar.edu.eg

Abstract:

This research studies the topic (Characteristics of Comparison in Al-Kidhawi's Praise Poetry) - A Critical Rhetorical Study -, which is a study that examines the poetic creativity of the Omani poet (Al-Kidhawi); to reveal a rhetorical style that represents a prominent phenomenon in his poetry, which is (Comparison). The research aims to show the rhetorical role played by comparison in Al-Kidhwi's praise of clarifying the differences between the houses and the elevation of degrees, clarifying the types of comparison in terms of their diversity into explicit and implicit, revealing the rhetorical characteristics and aesthetic secrets that lie behind comparison, the secrets of its organization, and how it escalates until it achieves the intended exaggeration in praise. The research came in five chapters preceded by an introduction and a preface. The first chapter: Preparing for comparison and preparing for it. The second chapter: Diversity of the structure of comparison. The third chapter: Graduation in the structure of comparison. The fourth chapter: Inspiration from traditional characters in building the preferred one. The fifth chapter: Comparison as a means of enticement and persuasion. Then came the conclusion, which included the most important results that the research resulted from, then the index of sources and references, and topics. The method of studying this phenomenon is based on the inductive method, based on inducting the phenomenon and tracking it in the collection, and the descriptive analytical method, which is based on tracking the phenomenon in Al-Kidhwi, analyzing it rhetorically, and clarifying What it contains of subtle secrets and various indications.

Keywords: Caracteristics, Comparison, Explicit, implicit, AL-Kiddawi.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، **. أما بعد .**

فإن الشعر العربي يحتل مكانة عظيمة بين علوم العربية؛ حيث يعد مرجع العرب، ومصدر علومهم، وديوان تاريخهم وبطولاتهم، ومصدر إبداعهم، ومجلِّي فصاحة ألسنتهم، وبلاغة بيانهم، ومن ثم كان ولا يزال منهلًا عذبًا للباحثين، وميدانًا رحبًا للمتذوقين، يبحثون عن دقائق أسراره، ولطائف تراكيبه، والكيذاوي من الشعراء الذين تميز شعرهم بنصاعة البيان، وبلاغة اللسان، وجزالة الألفاظ، وعمق المعاني، وكان مما لفت نظري في قراءة ديوانه ظاهرة بلاغية ترددت كثيرًا في شعر المديح عنده، ألا وهي ظاهرة **(التفضيل)** .

أسباب اختيار الموضوع :

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب، منها:

١- تميز شعر الكيذاوي بالجزالة والرصانة، والعذوبة والسلاسة، مع البعد عن التعقيد والتكلف .

٢- إن أسلوب المفاضلة يمثل ظاهرةً بارزةً في ديوان الكيذاوي، وهي في حاجة إلى دراسة مستقلة تكشف عن أسباب هذه الظاهرة البلاغية .

٣- الكشف عن الدور البلاغي الذي ينهض به أسلوب المفاضلة عند الكيذاوي، وكيف يتنوع بناؤها وتركيبها، وذلك تبعًا للغرض الذي يرمي الشاعر إلى تحقيقه .

٤- الرغبة في المعايشة التطبيقية لهذا الأسلوب الذي قل الاهتمام به في الإبداع الأدبي شعرًا ونثرًا .

أهداف الموضوع :

تهدف هذه الدراسة إلى :

١- إبراز الدور البلاغي لأسلوب المفاضلة في السياق الشعري عند الكيذاوي وأثره في تحقيق الغرض الذي يقصده الشاعر .

٢- الكشف عن أنواع أسلوب المفاضلة في إبداع الكيذاوي، ومردود ذلك على السياق والغرض .

٣- بيان حركة المعنى مع أسلوب المفاضلة، وكيف تتصاعد مندرجة حتى تحقق المبالغة المقصودة في المديح .

٤- الكشف عن أثر استلهام التراث في بناء بنية المفاضلة عند الكيذاوي، وكيف أقام بناءها على هذا الاستلهام .

إشكالية البحث :

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن عدة تساؤلات، من أهمها :

١- ما القيمة البلاغية للمفاضلة ؟

٢- لماذا كانت المفاضلة من الأساليب التي اتكأ عليها الشاعر في إعلاء مكانة الملوك والأمراء ؟ وما الغرض الذي قصده من ورائها ؟

٣- ما صور المفاضلة عند الشاعر ؟

٤- ما أسرار تنوع المفاضلة عند الشاعر، وتنوع أنساق تراكيبها؟

٥- ما أهم الخصائص البلاغية التي حفلت بها المفاضلة في مديح الكيذاوي ؟

٦- هل استعان الكيذاوي بالتراث في صياغة مفاضلاته ؟

الدراسات السابقة .

بعد البحث والتفتيش لم أجد دراسة بلاغية تناولت هذه الظاهرة في شعر الكيذاوي، ولكن وجدت خمس رسائل في ظواهر أخرى، وهي :

١- رسالة في قسم الأدب تناولت مقدمة القصيدة فقط، بعنوان: (مقدمة القصيدة في شعر الكيذاوي دراسة تحليلية) للباحث: إسحاق بن ناصر بن على المفرجي، رسالة ماجستير بكلية الآداب. جامعة اليرموك .

٢- رسالة في قسم أصول اللغة تناولت الصوت والدلالة بعنوان: (البنية الصوتية والبنية الدلالية في ديوان الكيذاوي) للباحث: وليد بن زاهر الكيومي، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس .

٣- رسالة في قسم البلاغة والنقد تناولت علم المعاني في شعر المديح، بعنوان: (البناء التركيبي في شعر المديح عند الكيذاوي (ت:١٠٢٤هـ-١٦٢٤م) دراسة بلاغية موازنة، للباحثة: إيمان سعد جودة، رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر .

٤- رسالة في قسم البلاغة والنقد، بعنوان: الرثاء في ديوان الكيذواي (ت:١٠٢٤هـ-١٦٢٤م) دراسة بلاغية موازنة، للباحثة: خديجة سعد جودة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر .

٥- رسالة في قسم البلاغة والنقد، في علم البيان، بعنوان: (التشبيه في ديوان الكيذاوي)، للباحثة: إيمان رشاد أحمد بربش، رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر.

مادة البحث :

كان ميدان البحث ومادته التي اعتمدت عليها هو (ديوان الكيذاوي) للشاعر موسى بن حسين بن شوال الحسيني، بجزأيه الأول والثاني، دراسة وتحقيق: سلطان بن سيف المقبالي، الناشر: وزارة التراث والثقافة- سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م .

منهج البحث :

يقوم منهج دراسة هذه الظاهرة على المنهج الاستقرائي، القائم على استقراء الظاهرة وتتبعها في الديوان، والمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تتبع الظاهرة، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا، وبيان ما فيها من أسرار وإشارات متنوعة .

خطة البحث :

واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وجاء ذلك على النحو التالي:

مقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وإشكالية البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

تمهيد : مفهوم المفاضلة، وبيان مكانة الشاعر، ويشتمل على محورين:

المحور الأول: مفهوم المفاضلة .

المحور الثاني: التعريف بالشاعر وبيان مكانته الشعرية.

المبحث الأول: التمهيد للمفاضلة والتوطئة لها، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التمهيد للمفاضلة بالحوار .

المطلب الثاني: التمهيد للمفاضلة بمقدمة غزلية .

المطلب الثالث: التمهيد للمفاضلة بالنصح والإرشاد .

المبحث الثاني: تنوع بنية المفاضلة، ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: المفاضلة الصريحة .

المطلب الثاني: المفاضلة الضمنية .

المطلب الثالث: اقتران المفاضلة الصريحة بالمفاضلة الضمنية .

المبحث الثالث: التدرج في بنية المفاضلة :

المبحث الرابع: استلهام المفضل عليه من الموروث الثقافي .

المبحث الخامس: المفاضلة وسيلة للاستدراج والإقناع، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المفاضلة وسيلة لاستدراج الممدوح واستمالته للعطاء.

المطلب الثاني: التفضيل وسيلة من وسائل إقناع المتلقي والتأثير عليه .

وأخيرًا جاءت الخاتمة،وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم الفهارس.

التمهيد: مفهوم المفاضلة ، وبيان مكانة الشاعر .

ويشتمل على محورين:

المحور الأول: مفهوم المفاضلة .

المحور الثاني: التعريف بالشاعر، وبيان مكانته الشعرية .

المحور الأول: مفهوم المفاضلة :

- **الدلالة اللغوية للمفاضلة:**

التفضيل مصدر للفعل **(فضَّل)** الذي ترجع دلالته إلى أصلٍ صحيح يدل على زيادة في شيء من ذلك، الفضل: الزيادة والخير، والإفضال: الإحسان، وفعله: فضُل يَفضُل، والتفضيل: إعطاء مزية للشيء على غيره، والتفاضل: التمازي في الفضل، وفضله: مزاه، وقوله تعالى:﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء، من الآية٧٠)، قيل في تأويله: إن الله فضلهم بالتميز، وفاضلني ففضلته: كنت أفضل منه، وأفضل عليه: زاد [١]

فالمعنى اللغوي لمادة التفضيل يدور حول التميز والزيادة الحسنة في الشيء .

- **مفهوم المفاضلة في الاصطلاح:**

عرف النحاة التفضيل بأنه: اسم مشتق على وزن (أفعل) يدل على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه [٢]

فالمفاضلة على وزن المفاعلة الذي يدل على تقدم المفضل وتفوقه على المفضل عليه في الصفات والخصال .

حاجة المديح إلى المفاضلة:

يعد المديح من أكثر الأغراض الشعرية التي تبنى على المبالغة وتقوم عليها، يقول الإمام عبد القاهر: " ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح والذمّ والوصف والنعت والفخر والمباهاة وسائر المقاصد والأغراض، وهناك يجد الشاعرُ سبيلاً إلى أن يُبدع ويزيد، ويُبدي في اختراع الصّور ويُعيد،

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (فضل)، دار صادر– بيروت، ط: الثالثة/ ١٤١٤م.

(٢) ينظر: الكافية في علم النحو، لابن الحاجب، ت: د/ صالح عبد العظيم الشاعر، صـ ٤٢، ط: الأولى /٢٠٢٠م.

ويصادف مضطرباً كيف شاء واسعاً، ومَدَداً من المعاني متتابعاً، ويكون كالمغترف من عِدٍّ لا ينقطع، والمُسْتَخرج من مَعْدِنٍ لا ينتهي " (١)

فالمبالغة لها أثرها القوي في إثراء المعنى، وتكثيف الصورة، خاصة في سياقات المديح والهجاء والفخر؛ لأنك " تبلغ بالمعنى أقصى غايته، وأبعد نهايته، ولا تقتصر في العبارة منه على أدنى منازله، وأقرب مراتبه" (٢)

وقد نبه النقاد على أن المبالغة ضرورة تفرضها الوظيفة الاجتماعية، وأن الشاعر مضطر إلى اصطناع المشاعر في محاولة إرضاء ممدوحيهم، الأمر الذي انحاز بهم إلى قدر غير يسير من المبالغة، ومن ثم عالجها بعض النقاد على اعتبارها ضرورة تفرضها الوظيفة الاجتماعية... وأن الشاعر مضطر إلى المبالغة اضطرارًا خاصةً في المديح والهجاء وما يتصل بهما(٣)

ولا عجب في ذلك فالشاعر يريد أن يصل بممدوحه إلى أعلى المراتب والدرجات، ويخطو به إلى آفاقٍ بعيدة عن مقدور العامة، فلا يقتصر على مجرد مدحه بالصفة وأنها متحققة فيه بل يريد أن يثبت أنه يعتلي عرشها دون منازع وذلك عن طريق الموازنة بينه وبين غيره ممن بلغ الغاية في الصفة التي يرمي الشاعر إلى تعلية الممدوح وتفوقه فيها، وإذا كانت الموازنة آلية من آليات تحقيق المفاضلة، فإن المفاضلة هي أهم ركائز المبالغة التي يقوم عليها المديح وأقواها، ولذا فقد ذهب النقاد إلى أن " أمدح المدح ما يكون بالتفضيل" (٤)

---

(١) أسرار البلاغة، ت: محمود شاكر، ٢٧٢/١، ط: المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة .

(٢) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ت: على محمد البجاوي، صـ ٣٦٥، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ .

(٣) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د/ جابر عصفور، صـ ٣٤٥، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط: الثالثة/ ١٩٩٢ .

(٤) الزينة، الرازي، ت: حسين الهمداني، ٤٥/١، ط/ الرسالة ١٩٥٦ .

ولما غلب المديح على شعر الكيذاوي، لاسيما مدح الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء وغيرهم، تطلب ذلك من الشاعر براعة فائقة وقدرة خاصة على الإفراط في وصف ممدوحيه بكل ما يرفعهم فوق مستوى الأنام، فـ " على الشاعر أن يخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، ويتوقى حطها عن مراتبها وأن يخلطها بالعامة، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك، ويعد لكل معنى ما يليق به" (١)

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل ذهب البعض إلى أن " الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله، كما تمدح العامة، كأنما لا يلزمهم الوفاء بما يقطعون على أنفسهم من عهود!! وإنما يكون مدحهم (بالإغراق) والتفضيل، وإمعانًا في الإبداع والإغراب، وقلَّ من كان يلحظ في مدحه تقرير الحقيقة " (٢)

ومن ثم اعتمد الشاعر على **(المفاضلة)** في مديحه، حتى لا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من هذا الأسلوب الذي له كبير الأثر على المتلقي إقناعًا وإمتاعًا كما أنه الأساس في بيان المنازل، والسبب في كشف أصحاب السبق والسيادة، يقول: (٣)

لَــوْلا التفاضُــلُ فــي الشَّــمائلِ مــا سَـادَ امـرُؤٌ فـي شـأْوِهِ شـاء

(١) عيار الشعر، ابن طباطبا، ت: عبد العزيز المانع، ٩/١، مكتبة الخانجي– القاهرة .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محي الدين عبد الحميد،١٣٠/٢، دار الجبل، ط: الخامسة/ ١٤٠١هـ–١٩٨١م ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي، ت: السيد أحمد صقر، ٣٥٩/٢، دار المعارف، ط: الرابعة .

(٣) الديوان، ٨٧/١ .

المحور الثاني: التعريف بالشاعر.

نسبه

الكيذاوي " هو الشاعر الفصيح، صاحب الأشعار الرائقة، موسى بن حسين بن شوال بن ثاني،.... وسمي بالكيذاوي تشبيهًا له برائحة الكيذا الذي هو من الأشجار العطرية، والذي يسميه أهل الطب، وعلماء النبات: بالكاذي " (١)

وقد اشتهر بهذا اللقب " فصار وساما له أي: نيشانا يتميز به عن غيره من الشعراء؛ لأنه لما تفوق في شعره واشتهر ذكره وانتشر صيته في البلاد صار كرائحة هذا الشجر المنتشر رائحته، فشعره محبوب مرغوب فيه لرقته وعذوبته يهواه جميع القراء فيتلذذون به في ألسنتهم " (٢)

مولده

ينتمي الشاعر إلى دولة بني نبهان في عمان، أما عن مولده فقد ذكر محقق الديوان عن الشيخ البطاشي قوله: " ولا أعرف بالضبط متى وأين ولد وتوفي، وفيما يظهر من مدائحه للنباهنة وغيرهم أنه عاش في النصف الأخير من القرن العاشر، وفي الربع الأول من القرن الحادي عشر الهجريين" (٣) وإذا عدنا إلى الديوان فيمكن أن نجد بعض الإشارات المتعلقة بحياته، فقد توفي الملك فلاح بن المحسن سنة (٩٨٣هـ-١٥٧٥م) كما تشير المصادر، فرثاه الشاعر بالقصيدة (٣٢) كما رثي بعض ممدوحيه، لكننا لا نجد في الديوان أنه رثي الملك عرار بن فلاح بن المحسن، رغم أنه يعد من أهم ممدوحيه بعد أبيه،

(١) إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، الشيخ: سيف بن حمود البطاش، ٤٣٠/٢، ط: الرابعة، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م .

(٢) شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، محمد بن راشد الخصيبي،٥٤/١، ط: الثالثة،١٤١٥هـ-١٩٩٤.

(٣) ينظر: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، صـ ٤٢١ .

فقد مدحه بقصائدة كثيرة، مما يعني أن الشاعر توفي قبل موت عرار، والمصادر تشير أن عرار توفي سنة (١٠٢٤هـ-١٦١٥م) [١]

مكانته الشعرية

كان للكيذاوي منزلة عالية في الأدب والفنون، وكان " ملمًا بالثقافة العربية السائدة في عصره، ففي شعره ما يدل على ثقافة واسعة واطلاع كبير على مختلف القضايا الدينية والتاريخية والأدبية، .... وقدم مسردًا طويلًا للملوك والفرسان والأجواد العرب الذين يضرب بهم المثل مثل النعمان بن المنذر، وعمرو بن هند، وزيد الخيل، وعمرو بن يعد يكرب، وعامر بن الطفيل، وكعب بن مامة، وحاتم الطائي، وبلال بن أبي بردة، وغيرهم...

كما فاء إلى جمهرة كبيرة من الشعراء العرب المشهورين، مساويًا نفسه بهم حينًا، ومعتبرًا نفسه أفضلهم شعرًا حينًا آخر، كما تتضمن أشعاره أسماء لبعض ملوك الفرس والروم وحكمائهم مثل: كسرى، ودارا، وقيصر، وخاقان " [٢]

أغراضه الشعرية

نظم الكيذاوي في كثير من الأغراض الشعرية كالرثاء والغزل والحكمة ولكن يعد المديح أكثر الألوان الشعرية في ديوانه " فقد نظم أغلب قصائده في باب المديح، وكانت معظمها في مديح ملوك النباهنة في عصره، وأهم ملوك النباهنة الذين مدحهم هو الملك فلاح بن المحسن، ويأتي في المرتبة الأولى في عدد القصائد التي خصه بها، إذ يبلغ عدد هذه القصائد (٦٠) قصيدة ويأتي ابنه عرار في المرتبة الثانية بـ (٣٢) قصيدة " [٣]

(١) مقدمة ديوان الكيذاوي، صـ ٢٢ .

(٢) السابق نفسه، صـ ٢٦ .

(٣) مقدمة الديوان، صـ ٢٨ .

خصائص المفاضلة عند الشاعر

من الملاحظ أن الشاعر قد بنى أسلوب المفاضلة في إبداعه الشعري بناءً خاصًا اتسم بجملةٍ من الخصائص تعينه على تحقيق هدفه، وهو المبالغة في رسم صورة للممدوح تشمل جميع خصاله وفضائله، وتضمن له التميز والتفوق والترقي على سائر الأنام، وبلوغه أعلى المنازل والدرجات، وإقناع المتلقي وإمتاعه بهذه المنزلة العالية، وهز الممدوح للعطاء والجود.

وقد جاءت هذه الخصائص في خمسة مباحث، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: التمهيد للمفاضلة والتوطئة لها .

المبحث الثاني: تنوع بنية المفاضلة .

المبحث الثالث: التدرج في بنية المفاضلة

المبحث الرابع: استلهام المفضل عليه من الموروث الثقافي .

المبحث الخامس: المفاضلة وسيلة للاستدراج والإقناع .

المبحث الأول: التمهيد للمفاضلة والتوطئة لها .

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: التمهيد للمفاضلة بالحوار .

المطلب الثاني: التمهيد للمفاضلة بمقدمة غزلية .

المطلب الثالث: التهيد للمفاضلة بالنصح والإرشاد .

المبحث الأول: التمهيد للمفاضلة والتوطئة لها .

مما يلاحظ في أسلوب المفاضلة عند الشاعر أنه كان يقدم لهذا الأسلوب بمقدمة تثير انفعال المتلقي وتلفت نظره إلى ما يريده، وذلك حتى يقع التفضيل في النفس موقعًا مؤثرًا، وحتى يتحقق له ما يريده من المبالغة في المديح، وإبراز صورة الممدوح في الدرج الأعلى في الفضل وجميل الأخلاق .

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب تنوعت بتنوع المقدمات، كالتمهيد بالحوار أو بالمقدمة الغزلية، أو بالنصح والإرشاد لمخاطبيه.

المطلب الأول: التمهيد للمفاضلة بالحوار:

مهد الشاعر للمفاضلة وقدم لها بالحوار ولوم اللائمة، يقول في مدح الملك **(أبي العرب بن سلطان)**[1]:

ولائـــمـــــةٌ تلُـــــومُ وقَـــــدْ ... شـــدَدْتُ الكُـــورَ والقـتبَـــا[2]
تـــقولُ وقـــدْ جـَـرَى فـــي الخـــدِّ ... مِنـــها الـــدَّمعُ وانْـسـكَبَـــا
إلـــَى كـَـــمْ أنـــتَ تُنفـــقُ مـِنـــ ... ـــكَ باقـــي العُـــمْرِ مُغْتَربَـــا
فـقُلـــتُ لهـــا دَعـِينـــي أَلْـــ ... ـتمِـــسْ حـــظًا ومِكتسَـــبـــا
دعـِيـــــني الآنَ أَلْتمِـــــسُ الـــــ ... ـغِـــــنَى والعِلـــــمَ والأدبَـــا
وأقْـــصِـــدُ بالـــمـــديـــحِ فـــتًـــى ... مـــنَ الأمـــلاكِ مُـنْـتـجَبـَـا[3]

بدأ الشاعر حديثه بالحوار الذي دار بينه وبين اللائمة التي تلومه على شد الرحال واعتزامه السفر، وقد جرى الدمع على خديها وانسكب بغزارة؛ محاولةً أن تثنيه عن رأيه، وترده عما قصده، ولكنه متشبث بالذهاب إلى الممدوح، والوقوف

(١) الديوان، ٩٨/١ .

(٢) الكور: الرحل، وقيل الرحل بأداته، والجمع أكوار وأكوُر. (لسان العرب)، مادة (كور) ، القتبا: رحل صغير على قدر السنام، لسان العرب، مادة (قتب) .

(٣) منتجبا: المنتجب: المختار من كل شيء، وقد انتجب فلان فلانا إذا استخلصه واختاره على غيره، (لسان العرب) مادة (نخب) .

على بابه، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يثنيه عن ذلك أحد مهما بلغت منزلته عنده؛ فحب الممدوح تمكن منه وجعله لا يستجيب لأمر العازلة، ويلح على رفض طلبها، فتكرار الفعل **(دعيني)** يعكس مدى إلحاح اللائمة وتشبثها، الذي يقابله منتهى الرفض وعدم الاستجابة من الشاعر، مما يشعر بعلو رتبة الممدوح ومدى حاجة الشاعر إليه، وقد جعل اللوم تكأة يتكئ عليها لبيان ذلك .

كما أن لهذا الحوار في المقدمة أثره في الإثارة واللفت إلى المفاضلة التي تعقبه؛ لما له من دور بارز وقيمة عظيمة في إيضاح الأفكار، وإمكانية التغلغل في النفس البشرية ومعرفة ميولها ونوازعها، " وقدرة الأديب على التخير والانتقاء واستغلال عنصر المفاجأة، ثم إجادته في خلق عنصر التوتر لدى القارئ أو السامع " [(١)]، فالحوار يسمعنا أكثر من صوت، والإبداع عندما يكون فيه أكثر من صوت يكون أكثر نشاطًا وإثارة لذهن المتلقي .

وتأتي المفاضلة للرد على اللائمة، والكشف عن عدم الاستجابة لها، أو الخضوع لإلحاحها، وتبرير قصد الممدوح برغم المشقة التي سيكابدها الشاعر، ومدى إصراره على ذلك وتمسكه بموقفه، يقول:

فقَالَتْ مَنْ فقُلتُ لها ... فتىً أعْلى الوَرَى رُتَبَا

أبا العَرَبِ الذي في المُلْـ ... ـكِ سادَ العُجْمَ والعَربَا

وَحيدٌ في العُلا (لمْ) يبْـ ... ـغِ إلا الحَمْدَ مُصطَحَبا

أعَزُّ الناسِ نَفْسًا بَلْ ... أجَلُّ مُلُوكِهِمْ حَسبًا

وأفصَحُ مَنْ قَرا مِنْهُم ... ومَن أمْلا ومَن كَتَبَا

(١) الحوار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، دراسة بلاغية نقدية، د/ عبد الرحمن بن عبد العزيز الفايد، صـ ١٠، رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود،عام ١٤٢٥.

وأفْخَـرُ مَـنْ رقَـا الـعَـلْـيا ومَـنْ أعْـطَى ومـن وَهَـبَـا[1]

أي: إن كنتي تلوميني على إقدامي على الرحيل وتحمل معاناة السفر فإن من أقصده وأتوجه إليه لا يلام من قصده واختاره وإن ضاع العمر في سبيل الوصول إليه، وكيف لا وقد اتصف بجليل الخصال وتفرد بعلو الرتب .

وقد اتخذ الشاعر من الأساليب والصيغ ما يعاون المفاضلة ويؤازرها في إبراز علو منزلة الممدوح واستدراج العازلة إلى التسليم لها والإقناع بها، فنجد التعميم والإجمال في قوله: **(فتًى من الأملاك منتجبا)** لإفادة التشويق والإثارة لذهن المتلقي إلى صفات الممدوح الذي يأتي التفضيل لإبرازها وتفصيلها، كما أن تنكير **(فتى)** ووصفه بقوله (من الأملاك منتجبا) بمثابة استدراج للائمة إلى السؤال **(فقالت من؟)** حتى إذا أجابها بالمفاضلة **(فتى أعلى الورى رتبا)** التي تظهر تفوق الممدوح وتفرده، تمكنت في النفس، وكان لها موقع حسن .

وقد بدأ الشاعر المفاضلة بالتصريح باسم التفضيل **(أعلى)** الذي أضيف إلى مفضل عليه عام **(الورى)** ليفيد الشمول والعموم للخلق كافةً، ثم يقرنه بما يدل ضمنًا على أفضليته **(وارتكبا)**، **(ساد العجم والعرب)**، **(وحيد)** فقد سلك طريق الفضل فما سبقه أحد، ولم يبلغ ملكه ومجده وسيادته الأعاجم أو العرب، وكما صرح بأفضليته وتفوقه على الجميع في العلا والرفعة يؤكد ذلك بتفضيل ضمني يقرر معناه ويثبته **(وحيد في العلا)** .

ويصعد من جديد إلى المفاضلة الصريحة **(أعز الناس نفسًا)** أي: بلغ في عزة النفس مبلغًا عظيمًا حتى فاق جميع الناس، ثم يترقى من العموم **(الناس)** إلى الخصوص **(أجل ملوكهم حسبًا)**؛ للمبالغة في عراقة أصله وجلالة حسبه، وتتصاعد المفاضلة بالاستقصاء في المفضل عليه لاسم التفضيل الواحد،

(١) ترتيب البيت في الديوان رقم ٤٧ .

يقول: **(أفصح من قرا– ومن أملا– ومن كتبا)، (أفخر من رقا– ومن أعطى– ومن وهب)** فاسم التفضيل في الموضعين واحد ولكن المفضل عليه متعدد؛ لأن هذا التعدد يتيح للشاعر فرصة المبالغة في تفضيل الممدوح؛ لأنه يقَدِّر تفضيله على كل فاعل على حدة، فهو يرى أنه من التقصير في حقه أن يكتفي بمفضل عليه واحد، كما أن هذا التعدد للمفضل عليه يظهر كمال عناية الشاعر بالمفضل ومدى تأثره بمكانته وتفوقه في صفاته على جميع من حوله " فكثيرًا ما تمتلئ نفس الشاعر بموقف معين ويغمره إحساس عميق به فيأخذ في تناوله وإفراغ ما عبئ به شعوره نحوه ويحاول أن يتقصى كل ما يمكن تقصيه، وكأنه يرى فيما يعبر به عنه لم يستكمل جميع جنباته ولا أوصافه التي في ذهنه فيكرر فيه معانيه عله يرضى نفسه المشحونة بهذا الموقف " [(١)] .

أرأيت كيف كانت التوطئة بالحوار بمثابة استدراج للائمة للوقوف على جميل خصال الممدوح، وإقناعها بالذهاب إليه، وثنيها عن لومها وتحويلها من الرفض إلى الموافقة والقبول لما يريد الشاعر، والاعتراف بمكانة الممدوح، وأن قصده أمر عظيم تهون أمامه المعاناة والمشقة ؟

المطلب الثاني: التمهيد للمفاضلة بمقدمة غزلية :

وقد يمهد الشاعر للمفاضلة بمقدمة غزلية تبرز جمال محبوبته وتفوقها في الحسن والبهاء، ويكون ذلك بمثابة توطئة للمفاضلة التي تبرز تفوق الممدوح وتفرده، يقول في مدح الملك أبي العرب بن سلطان، [(٢)]:

وأصبَحْتُ في أسْرِها هائمًا أحنُّ إليها جوَىً وادِّكارا
فلا الشَّهدُ شَهْدًا لدَى ريقِها وَلَيسَتْ لديهِ العُقارُ عُقارا

(١) التصوير البياني في شعر المتنبي، د. الوصيف هلال الوصيف، صـ ٢٢٩، مكتبة وهبة، ط: الثانية/١٤٣٤هـ-٢٠١٣م .

(٢) الديوان ١/ ٥٢٨ .

تــرى الجُلَّنــارَ إذا مــا بــدا بوجنتهــا يُخجِــلُ الجُلَّنــارا
لقـد غـصَّ بالسَّـاقِ خِلْخالُهـا وقَـدْ مــلأَ الـرِّدفُ مِنْهــا الإزارا
كَســاها الشَّــبابُ احْمِـرارًا فـإن عَراها الحَيـاءُ اسْـتَحالَ اصْـفِرارا

أخذ الشاعر يسرد صفات المحبوبة ويبرز مدى جمالها ورقتها وحيائها، وأنها قد بلغت في الحسن منتهاه حتى إذا وصل إلى قمة حسنها وأخذ بخيال القارئ وأوقفه على هذا الجمال الفاتن، فاجأه بأن الممدوح قد حاز الفخر كما حازت هذه المحبوبة الجمال والحسن، فاتخذ من حسنها وعلو رتبتها في الجمال توطئةً وتمهيدًا للحديث عن تفوق رتبة الممدوح، وتفرده بين الملوك في الشجاعة والسماح والندى، وهذا فيه براعة في الإبداع وحسن تخلص إلى الغرض المقصود دون أن تشعر بانتقال مفاجئ، أو مخاصمة بين المعاني وكأن السياق من أوله يدور في فلك المفاضلة ويخدمها .

وهكذا يتضح أن المقدمة الغزلية لم تكن مقصودة لذاتها وإنما كانت بمثابة مقدمة وتوطئة للمديح الذي بني على المفاضلة، فقد أراد أن يثني المتلقي عن جمال المرأة ويشغله بجمال الممدوح، وعلو مكانته، لينقله من الجميل إلى الأجمل، ومن الحسن إلى الأحسن، يقول:

لقد حـازَت الحُسـنَ فيه كـما أبـو العَربِ القَـرْمُ حازَ الفخَرَا
أعَـزُّ مــلوكِ الــوَرَى مَعْقِلًا وأوْفَـى ذِمَـامًا وأمْنَـعُ جَــارَا
وأسْـمَحُ نفْسًـا وأَعْـلَى عُـلًا وأسْـمَحُ كـفًا وأحمَـى ذِمَـارَا
بــه صــارَ رُكْنــي إلــى قُـوَّةٍ وراقّ به روْضُ ربْعي اخْضِرارا

بدأ الشاعر المفاضلة الصريحة بحذف المفضل **(أعز)** والتقدير هو أعز؛ وذلك للتركيز على الصفات، وأنها إذا ذكرت لا تنصرف إلا إليه، وذكر المفضل عليه **(ملوك الورى)** وجاء عامًا فضلًا عن كونه من الطائفة المتميزة المرموقة من الخلق؛ وذلك للمبالغة في المديح، وإعلاء شأن الممدوح بتفضيله على جميع

الملوك كافةً، فهو لا يفضله على أحدٍ منهم دون الآخر بل أراد التعميم والشمول في المفضل عليه، كما لم يفضله على أحد من العامة ولكن على الملوك.

ثم يترقى في التفضيل بحذف المفضل عليه من أسماء التفضيل (**أوفى، أمنع، أسمح، أعلى، أحمى**) فيتدرج من التقييد بالمفضل عليه إلى طيه؛ ليتناسى أمام صفات المفضل وتتلاشى صورته، وكي تتسع دائرة التعميم، فليس هو فقط بل كل من يظن أنه قد توفرت فيه تلك الصفات، فيضع ممدوحه فوق رتبة غيره دون منازع . وتأمل كيف تتنوع صيغ التفضيل الصريحة، وكيف تتوالى في هذا السياق المادح (**أعز، أوفى، أمنع، أسمح، أعلى، أسمح، أحمى**) ؟ وعلام يدل هذا التنوع، وهذا التكثيف للتفضيل في هذا السياق فلا يترك صفة يمتدح بها الإنسان إلا ومدحه بها، فلو اقتصر على صفة واحدة أو اثنتين لربما ظن أنه قل عن غيره في المتروك وأنه لم يكتمل في الصفة التي غابت عن السياق، فالكمال قد أحاط به من كل جانب.

وهكذا يتلاءم بناء المفاضلة وما به من خصوصيات بلاغية مع خاصية التمهيد لها في إبراز مقصد الشاعر، وتحقيق هدفه من المفاضلة .

المطلب الثالث: التمهيد للمفاضلة بالنصح والإرشاد :

وقد يمهد الشاعر للمفاضلة بحكمةٍ ونصيحةٍ لقارئه يتخذها وسيلةً ينطلق منها للمفاضلة، يقول في مدح الملك فلاح [١]:

لا تجْـزَعَنْ لِحَـوادِثِ الـدُّنْيا وَلا ... تَـكُ واغِـلاً بسُـرُورِها مِفْراحـا

وإذا طَلَبْـتَ مـنَ المُلـوكِ مَواهبًـا ... لا تطْلُبَـنْ إلَّا المليـكَ فَلاحَـا

خَيْرُ المُلُوك سِياسَـةً وأجلُّهُم ... قَـدْرًا وأكْثَـرُهُمْ نـدًى وَسَماحـا

ملكٌ متَى ما تَأْتِه لَمْ تلْقهُ ... إلَّا مَليـكًا للـنَّدى مُرْتاحـا

(١) الديوان، ١/ ٢٩٢.

ويـؤُمُّ وجْهَـكَ كُـلُّ خيْـرٍ مُسْرِعـا لـكَ إنْ تَـيَمَّمَ وجهَـهُ الوَضَّاحـا

يـذَرُ الأُجـاجَ المِلـحَ صفْوُ خلاقـه كالعـذْبِ والكَـدِرِ المُشـابَ قَراحـا

بدأ الشاعر البيتين الأولين بتوجيه النصح والإرشاد لقارئه، وقد صاغ ذلك في أسلوب إنشائي يشد القارئ ويثير انتباهه، أسلوب النهي في قوله : **(لا تجزعن- لا تك- لا تطلبن)**، فهو يرسل رسالة طمأنينة لمتلقيه ويطلب منه عدم الجزع والسخط من حوادث الدنيا ومصائبها؛ لأنه يقصد من يذهب روعه ويطمئن قلبه، ويأمن الإنسان بجانبه من حوادث الدنيا، كما يطلب منه عدم المبالغة في الفرح والسرور؛ لأنه سينعم كثيرًا بملاقاة من هو غاية في الجود والكرم، فإذا قصد الملوك طالبًا عطاياهم فلا يركن إلا إلى الملك فلاح .

وهنا يتخذ الشاعر من النصح والإرشاد سبيلًا إلى المفاضلة وبيان رتبة الممدوح التي جعلها نصيحة ضمن نصائحه التي تبرز مدى حرصه على المتلقي الذي يأثم بمخالفة النصح، وإبراز مكانة الممدوح الذي ينصح بالذهاب إليه، ويأتي التفضيل دعمًا للنصيحة وبيان لعلة مطالبه والكشف عن السبب الذي من أجله طلب من المخاطب عدم قصد أحدٍ غير الملك فلاح، وكأنه يفترض في مخاطبه بعد هذا النهي أن يسأل عن علته، فجاءت المفاضلة **(خير الملوك سياسة وأجلهم.....)** لتلحق النهي بعلته، وتجيب عن هذا السؤال المفترض، وتزيل ما يدور بذهن المتلقي من أفكار، أي: لا تطلبن من غيره؛ لأنه خير الملوك وأجلهم، فهو حقيق وجدير بأن يطلب منه، وهذا الاستئناف البياني له قيمة بلاغية عالية، فقد جعله الإمام عبد القاهر من لطيف الاستئناف، وأشار إلى كثرته في الكلام، يقول: " وإذا استقريت وجدت هذا الذي ذكرت لك من تنزيلهم الكلام إذا جاء بعقب ما يقتضي سؤالًا منزلته إذا صرح بذلك السؤال

كثير " [١]،

كما أن لهذا الاستئناف أثره على النفوس والمعاني فـ " الجملة الأولى تثير في النفس خواطر وهواتف، فتأتي الثانية مجيبة عن هذه الخوالج، وكأن بذرة الجملة الثانية مضمرة في الجملة الأولى، وهكذا يتوالد الكلام وتتناسل الجمل، ثم إن في طي هذه الهواتف، وترك الإفصاح عنها، والتعبير الجهير بها، ضرب من وجازة الكلام واختصاره ودمجه " [٢]

وهكذا جاء تفضيل الشاعر للممدوح وإظهار تفوقه في هذه الصفات تأكيدًا ودعمًا نادى عليه النهي السابق، ولم يقتصر الشاعر على مفاضلة واحدة بل تتنوع المفاضلات وتتعدد؛ للمبالغة في المدح، وتمكينًا للمعنى في النفوس، ومما لا شك فيه أن حصر صفات الممدوح واستيفائها بالذكر " له أثر جليل في تثبيت المعاني وتمكينها، حيث يحاط بالشيء من كافة أقسامه، ويحصر من جميع وجوهه، فلا يبقى أمام العاقل إلا أن يسلم بما عرض عليه " [٣]

(١) دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ٢٣٥/١، مطبعة المدني– القاهرة، دار المدني بجدة، ط: الثالثة /١٤١٣هـ–١٩٩٢م .

(٢) دلالات التراكيب، د/ محمد أبو موسى، صـ٣٢٤ ، مكتبة وهبة– القاهرة، ط: الخامسة ١٤٣٥هـ– ٢٠١٤م .

(٣) دراسات منهجية في علم البديع، د/ الشحات محمد أبو ستيت صـ ٢٤٥، ط: الأولى/ ١٤١٤هـ– ١٩٩٤ .

المبحث الثاني: تنوع بنية المفاضلة .

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المفاضلة الصريحة .

المطلب الثاني: المفاضلة الضمنية .

المطلب الثالث: اقتران المفاضلة الصريحة بالمفاضلة الضمنية .

المبحث الثاني: تنوع بنية المفاضلة .

بعد استقراء شعر الشاعر لوحظ أنه لم يسلك في بناء المفاضلة مسلكًا واحدًا، بل نوع في بنائها بين **المفاضلة الصريحة:** عن طريق اسم التفضيل والبنية المعهودة له من مفضل ومفضل عليه، **وبين المفاضلة الضمنية:** التي توحي بالمفاضلة بمعونة السياق دون التصريح بها، وتعبر عن المعنى المراد بطريق غير مباشر.

وقد جاء هذا المبحث في ثلاثة مطالب، وذلك على النحو الآتي :

المطلب الأول: المفاضلة الصريحة.

جاءت المفاضلات التي صرح فيها الشاعر بصيغة التفضيل بأنماط مختلفة، فقد يأتي بصيغةٍ واحدةٍ يكررها أكثر من مرة؛ للإلحاح على هذه الصفة في هذا السياق، ولكنه في أكثر المواضع جاء متنوعًا ومتتابعًا؛ للإلحاح على الإحاطة والاكتمال، بأن يرسم لممدوحه صورة مكتملة من خلال الجمع بين أكثر من صفة، وكأنه يحيطه بما يدل على كماله وعظمته، وأن مكانته لا تتضح إلا بالجمع بين هذه الصفات، وما يدل على مدى انفعاله بمكانة الممدوح؛ فالمفاضلة تخضع للحالة النفسية، فحينما تسيطر عليه عاطفة المبالغة في إبراز مكانة الممدوح يأتي أسلوب المفاضلة متتابعًا للكشف عن تلك الحالة .

-النمط الأول: المفاضلة الصريحة القائمة على تكرار صيغة التفضيل.

قد تأتي المفاضلة الصريحة قائمة على صفة واحدة تدور حولها وتكررها لتجليها وتبرز تفوق الممدوح فيها وأنها ليست طارئة عليه بل متأصلة فيه، كما جاء في مدح الملك حمير للإشادة بعلو مكانته ورفعته وتأصل مجده، يقول [(١)]:

يا أيُّها المَلِكُ الَّذِي وَرِثَ العُـلَا من أكْبَـرٍ عن أكْبـرٍ عن أكبـرٍ

(١) الديوان ٦٠٤/١ .

ماذا تقولُ بشاعرٍ أهْدَى لكُم ... ما ليْسَ يَبليهِ اخْتلافُ الأعْصُر
شِعرٌ يُرِيكَ بديهَةَ الجَعْديِّ إنْ ... فتَّشْتَ معْناهُ ولفظَ البُحْتُرِي

فاسم التفضيل هنا بني من صفة واحدة **(أكبر)** تجمع بين طياتها علو المكانة ورفعة المنزلة وبلوغ المجد والعلا، وقد ترجم تلك المكانة من ندائه بأداة نداء البعيد **(يا أيها الملك)** الذي يدل على رفعته وبعد منزلته، ومن خلال نعته بلقب **(الملك)** وما يشعر به من السمو والعظمة والمنزلة، كما أوحى بذلك الاسم الموصول ومضمون جملة الصلة **(الذي ورث العلا ....)** .

وكرر الشاعر الصفة ثلاث مرات **(من أكبرٍ عن أكبرٍ عن أكبرٍ)**؛ للتأكيد على عراقة الممدوح وأن العلا والمجد والرفعة صفات متأصلة فيه ورثها كابرًا عن كابرٍ عن كابرٍ، فالعلا وشرف الآباء ميراث ورثه وليس طارئًا عليه بدليل قوله: **(الذي ورث العلا)** ولا يزال يزهو به ومحافظًا عليه " وهذا المعنى قد استقر في كيان الإنسان العربي، فصار أشد ما يكون حرصًا عليه، فهو يعض عليه بالنواجذ إن ورثه، وهو يحاول أن يصنعه لنفسه إذا لم يرثه، بل قد يجد في اصطناعه أحيانًا، إذا لم يتيسر له صنعه، ولكن المجد التليد والشرف العتيد يبقى عند العربي إرثًا يطيل به الزهو، ويسعفه عند المفاخرة والمنافرة " [1]

وفي التكرار دعم للمعنى وتقرير للصفة، بحيث لو اقتصر على ذكر الصفة مرة واحدة ولم يكررها لربما ظن أنها منقطعة له ومقصورة عليه وليست متأصلة في أبائه وأجداده، وهذا غير مراد، فكررها لتأصيلها في نسبه، والتأكيد على تفوقه فيها كما تفوق فيها آباؤه وأجداده، وهذا التكرار يترجم مدى انفعال الشاعر بمكانة الممدوح فانعكس ذلك على لفظه فـ " المدح صدى انفعال المادح

(١) المدح في الشعر الجاهلي، رؤية جديدة، د/ السعيد حامد شوارب، صـ ٢٥٤، الجيزة، محمود أجيال لخدمات التسويق والنشر، ٢٠٠٨م.

بمحاسن الممدوح متى كان مدحًا ينبوعه الصدق، فالتكرير الذي يصحبه هو صوت التعبير عن تأكد مدلول اللفظ المكرر في نفس السامع " [١] .

وقد تكرر اسم التفضيل الواحد في بيتين متتاليين لتأكيد تفوق الملك عرار بن فلاح وتفضيل طيب أخلاقه على الزهور الجميلة الحسنة المنظر، يقول[٢] :

ومُطَــرَّزٌ بالـزَّهْــرِ قــدْ أهْــدَتْ لــهُ ... ريــحُ الجَنُــوبِ الرَّائــحَ المتَحلِّبــا[٣]
هَــرَقَ الغَمــامُ عــلَيهِ أدمُعَــهُ فلَــمْ ... ينـفَــكَّ إلَّا أنْ يسِــحَّ ويسْـكُبَــا
فسَقَــاهُ عــلَّا بعْــدَ نَهْــلٍ مُرْدِفــا ... وكسَــاهُ بالأَزْهــارِ لوْنًــا مُعْجَبَــا[٤]
حــتَّى تَضاحَــك نَــوْرُهُ مــنْ بعْــدِ مــا ... صَــحِبَتْ لياليــهِ الــرَّبيعَ المُخْصَبــا
تحْــكِي خَــلاقُ عــرارِ نَشْــرَ عَــرارِه ... بَــلْ إنَّهــا وُجِــدَتْ ألَــذَّ وأطْيَبــا[٥]
الــعــادِلُ لمَــلــكُ الــذي أخْــلاقُــهُ ... للمعْتَفِـينَ ألــذُّ مــن نفَــسِ الصَّـبا

يصف الشاعر زهرًا جميلًا حسن المنظر طيب الرائحة بعد ما راقت إليه ريح الجنوب مطرًا خصبًا يهراق عليه لم ينفك إلا أن يسح ويسكب من جديد فسقاه مرةً بعد مرة حتى أروى ظمأه فأخصبه وأنضره وكساه بأجمل الأزهار حسنًا وروعةً، وتفتح أنواره بليالي الربيع الخصب بعدما أصابته ليالي مجدبة أرهقته

(١) التكرير بين المثير والتأثير، د/ عز الدين على السيد، صـ ١٧١، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ط:الأولى /١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

(٢) الديوان، ١/ ٢١٩، ٢٢٠ .

(٣) الرايح: أصابتنا رائحة أي سماء. والمراد المطر (لسان العرب، مادة روح)، المتحلبا: تحلب العرق: سال (لسان العرب، مادة: حلب) .

(٤) العل والعلل: الشربة الثانية، لسان العرب، مادة (علل) ، النهل: أول الشرب، لسان العرب،
مادة(نهل) .

(٥) عراره: العرار: بهار البر وهو نبت طيب الريح، قال ابن بري: وهو النرجس البري، لسان العرب، مادة (عرر) .

وأطفأته، فأصبح هذا الزهر المبهج يحاكي خلاق الملك عرار في طيبها وحسنها، ولكن هنا لم يرض الشاعر بالمشابهة التي تساوي بين الطرفين في الصفة فأضرب عنها إلى المفاضلة التي تعلي منزلة الملك ومكانته عن الزهور الحسنة **(ألذ وأطيب)**، **(ألذ من نفس الصبا)**، وتثبت تفوق أخلاقه في طيبها ولذتها على طيب الزهر ولذة نفسه وعطره، ويكرر الشاعر اسم التفضيل **(ألذ)** مرتين للتأكيد على توفر الصفة في الممدوح، وتقريرها في أذهان المتلقين كما تمكنت في نفسه، وقد قرنها باسم تفضيل آخر **(أطيب)** ليجمع لأخلاقه بين عطر الرائحة وطيبها وبين لذتها وحسن جمالها .

وهنا نرى حسن التخلص وبراعة الانتقال من وصف الزهر وحسنه إلى المفاضلة التي تظهر حسن أخلاق الملك فلاح وتفوقها على الظهر .

-النمط الآخر: المفاضلة الصريحة القائمة على تنوع صيغ التفضيل.

وكان لهذا النسق من المفاضلة النصيب الأكبر في مديح الكيزاوي، فقد اعتمد في كثير من المفاضلات التصريحية على تنوع صفات الممدوح وتتابعها في عدة أبيات متتالية؛ لترجمة انفعاله بمكانة الممدوح، ومدى تأثره بها، والإلحاح على كشف منزلته للمتلقي وإقناعه بها، وأنها لا تضح إلا من خلال الجمع بين صفاته، والاستطراد في عرض خصاله ومكارمه، وهذا ما أشار إليه النقاد والأدباء في المديح، يقول الجاحظ: " ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر بين السّماطين في مديح الملوك أطالوا. وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز." [1]

(١) الحيوان، ٦٣/١، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الثانية / ١٤٢٤هـ .

وكان للملك فلاح النصيب الأوفر من مديح الشاعر؛ يقول في مدحه: [١]

الأفْـضَـلُ بنُ الأفْـضَـلِ والسَّـيِّـدُ بنُ السَّـيِّـدِ

والأفْـخَـرُ بنُ الأفْـخَـرِ والأَمْـجَـدُ بنُ الأمْـجَـدِ

كانت مفاضلات الشاعر تدور في معظمها حول معاني السيادة والرفعة والمجد، والكرم والجود، والشجاعة والإقدام، والفصاحة والنباهة، والرزانة والحلم، وبذلك لم يبعد الشاعر عن المعاني التي وضعها النقاد وطالبوا الشعراء بالالتزام بها خاصة في مدح الخلفاء والأمراء، فمدح الخلفاء عند (حازم) يكون " بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل، وأجلها وأكملها، كنصر الدين، وإقامة العدل، وحسن البر، والسياسة، والعلم، والحلم، والتقى، والورع، والرأفة، والرحمة والكرم، والهيبة وما أشبه ذلك، وينبغي أن يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الاقتصاد إلى حدود الإفراط، .... ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة، ويمن النقيبة، وسداد الرأي، والتيقظ، والحزم، والدهاء، وما ناسب ذلك" [٢]، وكان للمبالغة في المجد والسيادة والرفعة، والتأكيد على عراقة الأصل وعلو النسب نصيب وافر من مفاضلاته، كما جاء في الأبيات السابقة، فالشاعر يجمع لممدوحه بين صفاتٍ عظيمةٍ، ونعوت شامخةٍ تزيده فخرًا وسموًا تدور حول السيادة والرفعة، والأصالة والعراقة، فيشيد بأمجاده ومناقبه ويتحدث كثيرًا عن مآثره ومكارمه.

وقد جاءت أسماء التفضيل هنا مقترنة بـ **(أل) (الأفضل– الأفخر– الأمجد)**؛ للمبالغة في التفضيل، والإشعار بأن الممدوح بلغ في تلك الصفات منزلة مطلقة لا يحدها حد أو يقيدها قيد أو يجاريه فيها شخص، كما أن التعريف بالألف واللام تعني أن الممدوح مشهور بتلك الصفات معروف بها فلا تتعداه

(١) الديوان، ٣٢٨/١ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ٥٤/١ (بدون) .

بحيث إذا ذكرت لم يخطر بالبال غيره ولم ترد إلا إليه فهي لم توجد إلا فيه، وهذه مبالغة عظيمة في المديح، وقد أشار الإمام عبد القاهر إلى أوجه إفادة الألف واللام، ومنها القصر والمبالغة، يقول: " أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة، وذلك قولك: (زيد هو الجواد) و(عمرو هو الشجاع)، تريد الكامل، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه، وذلك لأنك لم تعتدَّ بما كان من غيره لقصوره عن أن يبلغ الكمال " [(١)]

ولم يكتف الشاعر بصفة واحدة بل عدد له أربع صفات ليجمع له عظيم الخصال ويحيطه بالعناية والكمال، فلم يلتفت إلى جانبٍ واحدٍ؛ لأنه لا يبرز مكانته، ويظهر تفوقه وعظمته، ولم يوقفنا على منزلته، وقد بنى الصفات الأربع على حذف المفضل؛ لما لذلك الحذف من التركيز على الصفات النبيلة وإبرازها واضحةً جليةً دون ذكر الذات، " إذ إن سعي المدح إلى بيان فضل الممدوح لا يتأتى من إبراز الذات قدر ما يتأتى من تعديد الصفات؛ إذ هي السبيل إلى إبراز الذات " [(٢)] ، وفي تكرار الحذف تأكيد لطرب الشاعر بصفات ممدوحه وإطراء المتلقي بها، وهذه قمة المبالغة في المدح بالرفعة والسيادة، والكشف عن مدى تأثر الشاعر بمكانة الممدوح .

ولم تقتصر المفاضلة عليه منفردًا بل نعت بها أصله، **(الأفضل بن الأفضل)** وكذلك في السيادة، والفخر والمجد **(الأفخر بن الأفضل- الأمجد بن الأمجد)** وهذا التكرار في تأصيل عراقة الممدوح والإلحاح عليه، والمبالغة في الارتقاء بنسبه ومد أواصل الحاضر بالماضي ترسيخٌ لدعائم حكمه وتوطيدٌ لفضائله التي ليست طارئةً عليه فتكون عرضةً للزوال والهدم، ولكنها أصيلة فيه

(١) دلائل الإعجاز، ١/١٧٩ .

(٢) أسلوبيات شعر الخوارج، الطرماح بن حكيم أنموذجًا، د/ مصطفى أبو طاحون، صـ ١٧٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠م .

ورثها عن أبائه وأجداده، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة في المدح " فإصرار النص على تأصيل ممدوحه وتجذيره في أفضية ممكنة وغير ممكنة شكلٌ من التواصل الواسع الذي لا يقتصر على مجرد شدِّ العالم الماثل أمامنا إلى الماضي التاريخي فقط، بل إنه يتواصل مع وحدات اللغة ومفردات العالم " (١)

وكما وطد الشاعر بالمفاضلة لعراقة الملك فلاح ورسخ لحسبه وعلو نسبه من خلال علاقته بأجداده، يستمر في الإلحاح على ذلك الجانب من خلال علاقة ابنه به الذي ورث العلا من أجداده ليس فقط أبيه، يقول في مدح الملك عرار بن فلاح: (٢)

أنْجَلَ فَلاحٍ كَم(مِنْ) لُجِّ بَحرٍ ... لِجُودِكَ لا يُقاسُ إلَى بِحارِ

فلَوْلاكَ الغَداةَ لَما قَطَعْتُ الـ ... ـسَّباسِبَ في رَواحِي وابْتِكاري

أجُوبُ المَجْهَلاتِ ضُحًى وسَحْرًا ... تُلَوِّحُنِي بها هُوجُ الذَّوارِي

فإنَّكَ أشرَفُ الأملاكِ جَدًا ... إذا انْتَسبَ الخِيارُ إلى الخِيارِ

فبَيْتُك في المفاخِرِ خيرُ بيْتٍ ... وجارُكَ في الجِوارِ أعزُّ جارِ

ولا زالتْ شُموسكَ مُشرِقاتٍ ... وبدْرُكَ ليْسَ يدخُلُ في سِرارِ

فالشاعر هنا يؤصل لنسب الممدوح ورفعة مكانته، فهو سليل بيت عز وشرف، وقد اتخذ من المفاضلة سبيلًا للمبالغة في المديح، فبدأ مديحه بإظهار أعرق الصفات وأكثرها في المديح **(أشرف الأملاك جدًا)** فالمدح بشرف النسب أعظم ما يمدح به، ولذا فقد قدم هذه الصفة على غيرها، فـ " طريقة المدح بشرف آبائه، والآباء تزداد شرفاً به؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيباً، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين، بل كان الكل خالصاً لكل

(١) بلاغة الخطاب، قراءة في شعرية المديح، د/ محمد عبد الباسط عيد، صـ ٣٩ ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب .

(٢) ينظر الديوان، ١/ ٥٦٢، ٥٦٣ .

فريق منهم؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه، ومنتقل إلى ولده كانتقال ماله، فإن رعى وحرس ثبت" [1] ، ولمزيد من العناية بها والتأكيد عليها قدم جواب الشرط **(فإنك أشرف الأملاك)** على فعله **(إذا انتسب الخيار إلى الخيار)**؛ للمسارعة بإظهار شرف نسب الممدوح ليكون أول ما يقرع السمع من صفاته لما لها من عظيم الأثر في المديح، والفاء في قوله **(فإنك– فبيتك)** للترقي في درج المكارم، وتصعيد المفاخر .

وللمبالغة في المديح جاء اسم التفضيل مضافًا إلى مفضل عليه عامٍ **(أشرف الأملاك)** لإفادة العموم والشمول للمفضل عليه حتى لا يظن أن هناك من يفوقه في الشرف من جميع الأملاك، كما أن مجيء المفضل عليه **(الأملاك)** يمنح المفاضلة مزيدًا من الرفعة والسمو؛ فالممدوح ليس مفضلًا على أناسٍ مغمورة بل على أملاكٍ بالسمو والرفعة مشهورة ، وفي هذا تصعيد للمبالغة، وارتقاء بالمفاضلة .

المطلب الثاني: المفاضلة الضمنية

وهي المفاضلة التي يعدل فيها الشاعر عن التفضيل الصريح الذي يباشر فكر المتلقي دون عناء ودون التوقف معه لاستجلائه، إلى التفضيل الذي يلمح من السياق ويحتاج إلى تمعن وتفرس للوقوف عليه واستنباطه، وذلك **كـ(التشبيه الضمني)**: الذي يفهم من المعنى بعد تأمل وإنعام نظر، وتومئ به العبارة ولا تكشف عن ملامحه لما فيه من خفاء [2]، ولا شك أن أفعل التفضيل يحمل دلالة

(١) العمدة، ١٤٥/٢ .

(٢) ينظر: التشبيه الضمني (شواهده ومصطلحه في مصادر البحث البلاغي والنقدي) د/ عبد الموجود متولي بهنسي، صـ ٣٢١، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد التاسع، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م .

التشبيه بين المفضل (المشبه به) والفاضل (المشبه) [١]

والتفضيل الضمني له مكانة بلاغية عالية؛ حيث خالف الشاعر المعهود ليتوصل عقل المخاطب إلى استنباط المقصود، وهذا ما قصده في مدحه، وهو توقف العقل والفكر أمام الممدوح والوقوف على مكانته بعد تدبر وتأمل، وهذا الطريق غير المباشر تفرد في الصياغة يناسب التفرد في مكانة الممدوح وأنها تفوق الحد، كما أنه يتماشى مع منزلة الملوك، ويليق بمكانتهم، ويظهر تفردهم في صورة متميزة ومختلفة .

وهذه القيمة الفنية للتفضيل الضمني تتفق مع ما أظهره النقاد وأشاروا إليه خلال حديثهم عن قيمة التشبيه الضمني، وأثره على الصياغة " فالشاعر حينما تجيش مشاعره، ويتبلور المعنى في نفسه يسكبه في صورة من التعبير تبدو ستارا على التشبيه لا يقوى المرء على استجلاء ملامحه من خلاله إلا بمراجعة متفحصة، وفكر غواص وحس شبوب يستشف ما وراء اللفظ، ويستجلي ما يختبئ خلف ما أحكم نسجه وأحسن حبكه من هذا الستار " [٢]

وبالرجوع إلى شعر الشاعر نجد المفاضلة الضمنية هي الأكثر عنده مقارنةً بالتفضيل الصريح؛ حيث وجد فيها الشاعر طريقه لرفعة الممدوح والمبالغة في تفوق منزلته والارتقاء بدرجته، وقد جاءت **المفاضلة الضمنية** بأنماط مختلفة :

-النمط الأول: تنوع صيغ المفاضلة الضمنية :

من أنماط المفاضلة الضمنية عند الشاعر، تنوع صيغها، **(فوق- يقل عنه- يسفل- يسبق- دونه- لا يرتقي- يقصر- أزرى ....)** فهذه صيغ تجري

(١) ينظر فن التشبيه، د/ علي الجندي ١/١٨٥، مكتبة نهضة مصر، ط: الأولى / ١٩٥٢ .
(٢) التشبيه الضمني (شواهده ومصطلحه في مصادر البحث البلاغي والنقدي) صـ ٣٧٣ .

في السياق الشعري عند الشاعر، ويكثر توظيفها لتدل على المفاضلة الضمنية التي تحقق المبالغة في المديح وتتصاعد به، يقول في مدح الملك فلاح [1]:

نسبٌ تُضِيئُ بنورِهِ الدُّنيا ويسْـ ... فُلُ في المراتبِ دُونَهُ كَيوانُ

لكَ في مَنارِ المَجْدِ أصبَحَ يا أَبا ... سُلطانَ تاجُ العِزِّ والسُّلطانُ

لا زِلتَ تَرْقَا في المعَالي رُتبَةً ... لَمْ يَرقَهَا سَيْفٌ ولا عِزَّانُ

ومَنابرًا لَمْ يقْتَعدْها حِمْيرٌ ... وسِياسةً ما سَاسها ساسانُ

فالآنَ دُونك يا ذُؤابَةَ تبَّعٍ ... قَحْطانُ فِي الدَّرجاتِ بل عَدنانُ

فارْبَعْ أَبَيْتَ اللَّعنَ قد جُزْتَ المَدَى ... وانعَمْ بما قَدْ خَصَّكَ الرَّحمَنُ

في رُتبةٍ عنها يُقصِّرُ قَيْصرٌ ... ويقِلُّ عن إدْراكِها خاقانُ

في هذه الأبيات يمدح الشاعر الملك فلاح بعراقة الأصل وعلو النسب، وارتقاء المجد وبلوغ أعلى المناصب والدرجات، ويتخذ من الأساليب البلاغية ما يعينه على المبالغة في مدحه، فيلجأ إلى المفاضلة الضمنية التي ترفع الممدوح في صفاته ومحاسنه في الوقت الذي ينزل بغيره ويحط من شأنه أمامه، وقد اتخذ أكثر من صيغة تحمل بين طياتها المفاضلة وتشملها دون التصريح بها، كقوله: **(يسفل في المراتب دونه كيوان)**، **(رتبةً لم يرقها سيفٌ ولا عزان)**، **(ومنابرًا لم يقتعدها حميرٌ)**، **(وسياسةً ما ساسها ساسان)**، **(دونك يا ذؤابة تبَّعٍ)**، **(في رتبةٍ عنها يقصّرُ قيصر)** فهذه الصيغ لم تصرح بالتفضيل ولكن شملته ضمنًا، فجاءت المبالغة في أبهى صورها، حيث إنها لم تجعل الممدوح متفوقًا على غيره في صفاته فحسب بل حطت بالطرف الآخر وجعلته غير مؤهلًا لمشاركة الممدوح أو المقارنة معه؛ فهو لم يرتقِ إلى درجته ولم يبلغ منزلته مهما بلغ في المجد والرفعة، ومهما أوتي من السياسة والملك.

(١) الديوان، ١١٩٤/٢ .

وتصل المبالغة ذروتها عندما نجد من تفوق عليهم الممدوح قد عرفوا بالصفة وبلغوا فيها مبلغًا عظيمًا، وكأنه يجعل ممدوحه أصلًا للصفة يقاس عليها والأصل فيها فرعًا يستمد منه المعنى أو الصفة .

ومن الملاحظ أن تنوع الصيغ التي تدل على التفضيل، وتنوع المفضل عليه، وبلوغه في الصفة المقصودة منزلة عالية، وتدني هذه المنزلة أمام رتبة المفضل، كل ذلك يحقق غرض الشاعر من توظيف أسلوب المفاضلة في سياق المديح، وإبراز شمول صفات الممدوح، وتفرده فيها، والإلحاح على تمكينها وتقريره في نفوس المتلقين، " فالشاعر لابد وأن يختار من الألفاظ والعبارات أقدرها على تصوير الإحساس وأحفلها بالإيحاء. حتى يستطيع أن ينفذ إلى نفس المتلقي فيثير عنده إحساسًا مماثلًا " (١) .

وقال يمدح زائد بن مبارك: (٢)

أناصِـرَ مـــنْ لا لـــهُ نـاصِـــرٌ مـنَ الـدَّهرِ بُورِكْـتَ مِـن ناصـرِ
سَبَقْـتَ الكِـرامَ وأهــلَ العُــلا وطَاوَلْــت كــلَّ فــتًى فـاخــرِ
وَدُمْ وابــقَ فــي رُتْبَــةٍ سَــمْكُها يَطُــولُ عــلى الكَوْكــبِ الزَّاهــرِ
وجاءَتْـكَ مـنْ شـاعِرٍ مـا أتـتْ علــى غــيْرِهِ قــطُّ مِــن شاعــرِ

في هذه الأبيات يبالغ الشاعر في رفعة ممدوحه وعلو منزلته، ويتخذ من الأساليب والصيغ ما يعينه على ذلك ، فجمع له بين صفتي الرفعة والكرم **(سبقت الكرام وأهل العلا)**، وأظهر سبقه فيهما ولم يكتف بذلك بل عطف على هذه الجملة جملةً أخرى تدل على التفرد والتميز **(وطاولت كل فتى فاخر)**،

(١) قراءة نقدية في النص الشعري القديم، د/ طه عبد الرحيم عبد البر، صـ٢٠، ط: الأولى/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .

(٢) الديوان، ٥٧٨/١ .

وأسلوب التعميم **(كل)**، وتنكير **(فتى)** ثم وصفه بقوله **(فاخر)**، والدعاء له بطول العمر ودوام التفوق **(ودم وابق)**، ثم علو رتبته على الكواكب، ووصفها بقوله **(الزاهر)**، وكان أبرز وسائل الشاعر في هذا المديح أسلوب المفاضلة الضمنية التي صيغت بألفاظٍ يفهم منها التفضيل ضمنًا دون التصريح به، من هذه الألفاظ **(سبقت– طاولت– يطول)** فهذه الصيغ أسهمت في رفع رتبة الممدوح، وأعلت منزلته على غيره في الفخر والمجد والكرم وأظهرت سبقه في ذلك وتفوقه .

–النمط الثاني: مجيء المفاضلة الضمنية عن طريق نفي المماثلة والمشابهة:

قد يأتي الشاعر بالمفاضلة الضمنية عن طريق نفي المماثلة أو المشابهة بين ممدوحه وبين كافة الخلق؛ ليثبت تفوقه ورفعة منزلته عليهم؛ للارتقاء بالمبالغة وتصعيد المفاضلة وذلك من خلال " إيقاع التباين بين الطرفين إيقاعًا تامًا، بحيث لا يلتقي الطرف الأدنى مع الطرف الأعلى في جانب من جوانب الفضل، فبين الطرفين كمال المباينة، وتمام المفاضلة " (١)

وجاءت المفاضلة الضمنية عن طريق نفي المماثلة، في قول الشاعر يمدح الملك فلاح، (٢):

مـا فِي المعَالِي مِثْـلَهُ خلْـقٌ ولا ... آلٌ تـفـــرَّد بالـفـخـــارِ كـآلـــهِ

يُعطِي وَيَـمْنَعُ جـــارَهُ ووُفُـوَدهُ ... ويكُـرُّ يـومَ الطَعنِ فـي أبـدالِـــهِ

كالَليثِ يُنْشِبُ فـي القَنِيصِ مخالِبًا ... ويَظَـلُّ مُحتـمِيًا عـَلَى أشْبـــالِهِ

كالشّمسِ فـي إجْلالِـهِ كالغَيْثِ فـي ... إسـبالِهِ كـالـــدَّهرِ فـــي إمْهَالـــهِ

لـو وازنَ الدُّنيـَـا وساكنهـا معًـــا ... مـا وازنـوا فـي القَدْرِ ظَفرَ شِمَالِهِ

(١) أسلوب نفي التسوية الصريح في النظم القرآني مواقعه وأسراره، أد/ أحمد السيد طلحة، صـ ٣٦، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م.

(٢) الديوان ٨٣٩ .

لقد أثبت الشاعر في البيت الأول تفوق الممدوح في العلا والفخر بل تفرده وآله فيهما، فلا جاراه في معاليه أحد من الخلق ولا في فخر آله ومجدهم، وهذا المعنى أوجزه الشاعر في مفاضلة ضمنية نفى فيها مماثلة أحد من الخلق لممدوحه في قوله: **(ما في المعالي مثله خلق....)**، ولم يكتفِ الشاعر بهذا الحكم الذي أطلقه على ممدوحه، وذلك الادعاء بل أراد له مزيدًا من التمكين والتقرير في نفس المتلقي، فأخذ يفصل ويعدد من الواقع المحسوس المشاهد عن طريق التشبيه بالليث والشمس ما يثبت ويقرر حكمه العقلي الذي أطلقه، ثم ختم بالتفضيل المصوغ في قالب الشرط **(لو وازن الدنيا وساكنها....)**؛ لتأكيد مضمون المفاضلة السابقة وتقريرها .

وجاءت المفاضلة الضمنية عن طريق نفي المشابهة والمماثلة مقرونةً بنفي التسوية الصريح بين أمرين ظاهرين من واقع الحياة هما غاية في التباعد والاختلاف، أمرين من الأمور التي ينبغي أن يسلم كل أحد بتباين ما يشابههما؛ لإلحاق نفي المشابهة بين الممدوح وغيره من الخلق بهما، وقياس المعنى المعقول بآخر محسوس ومشاهد؛ حتى يقف المتلقي على الفكرة بنفسه، ويتوصل إلى النفي تصديقًا من قلبه هو وتسليمًا بالاقتناع، فالشاعر يحيل السامع على هذا الدليل البصري المشاهد؛ تأييدًا لفكرته وانتصارًا لها وإلزامًا للسامع بها .

وجاءت المفاضلة الضمنية عن طريق نفي المشابهة والمماثلة في قول الشاعر يمدح الملك حمير[(١)] :

ولِي حِمْيَرٌ من جميعِ المُلو ... كِ في ظُلُماتِ الخُطُوبِ اقْتباسُ
فتًى لا يُكدِّرُ حَوْضَ النَّوا ... لِ مَطْلٌ لسائلِهِ واحتباسُ
فلا تَحْكِهِ بامرِئٍ في الورَى ... فليْسَ المُهَنَّدُ يَحكيهِ فاسُ

(١) الديوان، ٦٦٧/٢ .

فـلا مثـلُهُ فــي الـنــدى حــاتمٌ ولا مثلــهُ فــي الذكــاءِ إيــاسُ

فالشاعر نهى المتلقي عن تشبيهه الملك بغيره من الخلق **(فلا تحكه بامرئ في الورى)**، وحتى يقنعه بفكرته ويلزمه بالتسليم لها لجأ إلى التشبيه الضمني الذي نفي من خلاله التشبيه بين أمرين محسوسين من واقع الحياة **(فليس المهند يحكيه فاس)** للقياس عليهما، فيسلم المتلقي بالمعنى ويقر به بعد التسليم بما يشبههما من الأمور المحسوسة .

كما نفى الشاعر وجود مشابهة بين ممدوحه وبين حاتم في الجود **(فلا مثلُهُ في الندى حاتمٌ)**، أو بينه وبين إياس في الذكاء **(ولا مثلهُ في الذكاءِ إياس)** ، وهنا نرى الشاعر " يتشكك في أن الأصل لم يصل إلى مستوى الفرع، فيضع من الشروط والمعاني المستحيلة بحسب ما يرى كل ما يؤكد استحالة أن يبلغ الأصل مبلغ الفرع في التميز والتفرد والقوة في المعنى، على أساس أن الفرع أضحى أصلًا يقاس عليه . " (١)

- **النمط الثالث: صياغة المفاضلة الضمنية في قالب الشرط :**

ومن أنماط المفاضلة الضمنية عند الشاعر أنها كانت تصاغ أحيانًا في قالب الجملة الشرطية؛ للتخفيف من حدة المبالغة والغلو في بيان مكانة الممدوح، وتقريبها من القبول والإمكان حتى يستسيغها العقل، وكانت أداة الشرط **(لو)** أكثر استخدامًا في ذلك، يقول الشاعر في مدح الملك (يعرب بن سلطان) (٢):

لهُ شـرفٌ يعـلُو على الشَّمسِ نُـورُهُ ومَجْـدٌ عـلى ظَهرِ الكَـواكِبِ يركَـبُ
أسـائِـلَهُ يـومَ الـرَّجـاءِ مُـبـَلَّـغٌ لـعـاذِلـهِ يـومَ الـنـوالِ مـخـيِّـبُ
فلا مـالُهُ عـن سـائِلِ الرَّفدِ مُحْجـبٌ ولا ربْعُهُ للضَّيفِ والجارِ مُجـدِبُ

(١) مفهوم المبالغة في الفكر النقدي والبلاغي، د/ أحمد عبد السيد الصاوي، صـ ٣٩٩ ، مطبعة الحاج صالح لطباعة الكتاب الجامعي، ٨٩٧٤هـ- ١٩٩٠م .

(٢) الديوان، ١٢٩/١ .

ولو أنَّ أهلَ الأرضِ في ساكِنِ السَّما لهُمْ نسبٌ أضْحَى إلى الرُّوحِ يُنسبُ

عقد الشاعر مفاضلة ضمنية بين الممدوح وبين نور الشمس فرفعه عليه في الشرف والعلو وجعل لشرفه نورًا ظاهرًا محسوساً يعلو نور الشمس ويفوقها، كما أن مجده يعلو مجد الكواكب ويفضله، ولمزيد من إظهار مكانة الممدوح وتجليتها أمام المتلقي يعبر عنه بالضمير **(لـه)** فـ " إن حرص المبدع على إبراز ضمير ممدوحه في أول بيت بعد مقطع الوصف بمطلع البيت ثم تكرار التركيب يؤكد حضور المتلقي/ الممدوح حضورًا جليًا واضحًا بارزًا، وقد يسهم في ذلك الحضور قصد المبدع إلى العطاء من بعد علاقة وثيقة كذلك بالممدوح. فالشاعر هنا يشحذ قواه ويلمع أدواته التي تهز الممدوح طربًا وعطاءً " (١)

ثم ينتقل من عالم السماء إلى الأرض ليثبت أفضلية الممدوح على أهلها جميعًا في النسب؛ فلو أن لهم نسبًا إلى السماء فهو ينتسب إلى جبريل– عليه السلام–، وتعلو المفاضلة عندما يصوغها الشاعر تلك الصياغة الشرطية التي تخف من حدتها وتقربها من الصحة والإمكان، وذلك عن طريق **(لو)** .

وصيغت المفاضلة الضمنية صياغة شرطية، تقربها من الإمكان والقبول، وذلك في قول الشاعر يمدح الملك كهلان(٢) :

مليكٌ يُضاهِي الشمسَ في دَرجَاتِها وفي نُورِها إجلالُهُ وفَخَارُهُ
وتَعْلُو على أفْلاكِها ومَدَارها فتًى لدَى جَرْيِهَا أفلاكُهُ ومَدارُهُ
قطٌ لمْ يهْزُل رجاءُ وُفُودِه وَلمْ يرْتَبِ إلَّا يتيمًا جِوارُهُ
رقَا مَنْزِلًا في سَمْكِهِ مُتَقاعِسًا يفُوقُ علَى نَجْمِ السَّماكِ مَنارُهُ
وَشيَّدَ بيْتًا من مَراتِبِ عزِّهِ ولو رفيعَ المَعَالي لا يُخافُ انهِيارُهُ
أنَّ فوقَ السَّبعِ للإِنْسِ مَسْكنًا لنافَتْ إلى أعْلَى السَّماواتِ دارُهُ

(١) أسلوبيات شعر الخوارج (الطرماح بن حكيم أنموذجًا)، صـ ٧٥ .
(٢) الديوان، ٥٧٤/١ .

ولـو أنَّ قُـدْسًا قِـيـسَ وَزْنًا بحـلِمِهِ لـمـالَ بقُـدْسٍ حِـلْـمُهُ وَوقـارُهُ

بدأ الشاعر مدحه بتشبيه الممدوح بالشمس في درجتها وعلوها ورفعتها **(مليك يضاهي الشمس)**، وأنه يستمد من نورها إجلاله وفخره، ثم يترقى ويتدرج في رفع رتبة الممدوح على الشمس فينتقل من التشبيه إلى التفضيل عليها **(وتعلو على أفلاكها ومدارها....)** ليعبر عن مدى انفعاله بالمعنى، وإحساسه التام باعتلاء المفضل عرش الصفة دون منازع، فيرتقي بدرجته، ويبالغ في تفضيله فلم يقتصر على الشمس بل يوظف مظاهر الكون كله في رفعته وعلو منزلته، فيرفعه على عالم السماء من الشمس والنجوم والسماوات السبع، ثم ينتقل إلى عالم الأرض ويفاضله على أشرف الأماكن وأطهرها (القدس) وأن المفضل في حلمه و وقاره يفوق وزنه وثقله، وقد صاغ مفاضلته الضمنية هنا صياغة شرطية (ولو أن فوق السبع للإنس مسكنًا)، (ولو أن قدسًا قيس وزنًا بحلمه)؛ لتأكيد تفوقه في الرفعة والعلو على الإنس، وتقرير رزانته وحلمه و وقاره على القدس، ولا شك أن ذلك من المبالغات التي يسعى إليها الشاعر لإثبات رفعة ممدوحه وعزته " لأنه وضع كلامه موضع من يقيس على أصل متفق عليه، وأمر مسلم لا حاجة فيه إلى دعوى، ولا يقع فيه اختلاف، والمعاني إذا وردت على نفس هذا المورد كان لها سرور خاص، وفرح عجيب " [1].

المطلب الثالث: اقتران المفاضلة الصريحة بالمفاضلة الضمنية .

قد تأتي المفاضلة الضمنية تابعة للصريحة لتأكيدها وتقرير محتواها، وللمبالغة في رفع درجة الممدوح والترقي بمكانته ومنزلته التي أصبح لا يشاركه فيها أحد، يقول الشاعر في مدح **الملك (المظفر بن سلطان)** [2]:

(١) أسرار البلاغة، ١٩٥ .

(٢) الديوان، ٦٠٨/١، ٦٠٩ .

قطَعــــتُ الأرضَ مـــن شـــرقٍ وغـــربٍ وجُـــزْتُ تخُـومَهـــا بـــرًا وبحـــرًا[١]
إلـــى أنْ صـــارَ ساكـــنُها جميعًـــا هُنـــاك يظُنُّنِـــي كالخِضْـــرِ خِضْـــرَا
ولـــمْ أرَ كـالمُـظفَّـرِ مـن مـلـيـكٍ علـــى الـــدُّنيا مـــن الأمـــلاكِ طُـــرًّا
مليـــكٌ أعـــــدلُ الأمْـــــلاكِ مُلْـكًـــا وَأنـــدَى راحَـــةً وأجَـــلُّ قـــدْرًا
فـمـــا دارا بـــنُ دارا فـــي عُـــلاهُ يُطاولُـــهُ ولا كِسْـرى بـنُ كِسْـرَى[٢]

بدأ الشاعر بالمفاضلة الصريحة في قوله: **(أعدل الأملاك.. وأندى..وأجل)** فجمع لممدوحه بين عدة صفات جليلة تتلاحق وتتابع لتظهر تفوقه على كافة الأملاك في العدل وتفضله عليهم في الندى والجود، ورفعته في الجلال والقدر، فتلك الصفات التي علا فيها الممدوح وارتفع يؤكدها الشاعر ويقرر مضمونها بالتفضيل الضمني الذي أفاده البيت الثاني **(فما دارا بن دارا في علاه يطاوله .....)** فما أجمله بالتفضيل الصريح وأطلقه يفصله ويبرهن عليه من خلال الواقع الذي يزيد المعنى قوةً ووضاحةً، فكون الممدوح أرفع قدرًا وأعلى منزلة من الملوك بشكل عام، يؤيده ويثبته ويقرره من خلال الواقع المحسوس، كتدني منزلة من عرفوا بالرفعة وضرب بهم المثل في المجد والسيادة أمامه .

وهنا نجد الترقي بمكانة الممدوح ورفعته يحققه التفصيل بعد الإجمال، والتخصيص بعد التعميم، والانتقال من المفاضلة الصريحة إلى المفاضلة الضمنية .

ومما جاء على هذا النسق قول الشاعر أيضًا في مدحه: [٣]

---

(١) تخومها: التخوم: الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالم، وتخوم الأرض: حدودها، لسان العرب، مادة (تخم) .

(٢) دارا بن دارا: أحد ملوك الفرس الأولى، وهو الذي قتله الاسكندر المقدوني، ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن المسعودي، ت: سعيد محمد اللحام، ٢٤٣/١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط: الأولى/١٤١٧هـ– ١٩٩٧م .

(٣) الديوان ١/ ٦١٧.

سُلالـةُ سلطـانِ الملـيكِ مـظَفَّرٍ أعَـزُّ الـوَرَى نفْسًـا وأشرَفُـهُـم قَــدْرا
يجِـلُّ ويعـْلُو أنْ يُـقاسَ بقَيصَـرٍ ولا بأَخِي اليَومَـيْنِ طَـوْلا ولا كِسْــرَى
فلَوْ عادَلَتْهُ الأرضُ وزْنًا وأهلُـها لَما عادَلُوا في الوْزنِ من كَـفِّه ظُفْرًا

بدأ الشاعر يمدح الملك المظفر وقد تدرج من التفضيل الصريح **(أعز– أشرف)**، صاعدًا إلى التفضيل الضمني**(يجل ويعلو أن يقاس بقيصر.....)**؛ وذلك للترقي في المبالغة في المديح، وبيان أن مرتبة الممدوح تعلو على مراتب الأنام، وتفوق على من عرفوا بالعلو والرفعة، أمثال قيصر وكسرى، والنعمان بن المنذر، فجعل من هم أصل للسيادة والرفعة وعلو المنزلة واشتهروا بذلك **(قيصر– أخي اليومين– كسرى)** قد تضاءلت مكانتهم وتراجعت درجتهم واختفت صورتهم من ساحة التفوق في تلك الصفات أمام الممدوح فأصبح يجل ويعلو أن يقارن أو يقاس بهم .

ونلحظ في بنية المفاضلة التدرج من العموم **(أعز الورى)**، **(وأشرفهم)** إلى الخصوص **(يقاس بقيصر،....إلخ)** ثم إلى العموم في قوله: **(عادلته الأرض، وأهلها)** وجعله يفوق كل أهل الأرض، فهو يرجح بهم جميعًا، فلو حدث وقورنوا به لما عادلوا ظفره، وهذا تصعيد لحركة المعنى والارتقاء بالمفاضلة درجة بعد درجة .

<u>المبحث الثالث: التدرج في بنية المفاضلة .</u>

والتدرج في بنية المفاضلة هو أن يبدأ الشاعر في بيان منزلة الممدوح بناءً متدرجًا، حيث يبدأ بالتشبيه ثم يصعد برتبة الممدوح إلى المفاضلة؛ ليعلي رتبته على المشبه به، فلم يعد الأمر قاصرًا على التشبيه الذي يدل على إلحاق الناقص في الصفة بالكامل فيها، بل ارتقى إحساس الشاعر بالمعنى وطغى انفعاله بتفوق الممدوح، فتناسى التشبيه ورفع درجة المفضل عن طريق الارتقاء من المشابهة إلى المفاضلة؛ فـ " الأداة كلما كانت أبعد عن قصد الشاعر كان ذلك أدخل في قوة التشبيه لما فيه من دلالة على تناسي الشاعر إياه وارتقاء إحساسه درجة

يفرغها على صياغته حتى يوهم بتفاعل الطرفين، ولذا نرى تدرج هذه الظواهر الثلاث في القوة، حتى يصل إلى التجاهل المطلق للتشبيه بل وتجاوز هذا إلى عكس الأساس الذي يقوم عليه من إلحاق ناقص الصفة أو ضعيف فيها بآخر تقوى فيه هذه الصفة، فيزيد من أمرها في المشبه على سبيل التفضيل " [١]

وترقي الشاعر من التشبيه إلى المفاضلة ، يقول في مدح الملك فلاح[٢] :

مُتواضِعٌ أدَبًا وهالَتُهُ فِي رُتْبةٍ شَمَّاءَ قَعْساءِ
كالنَّجمِ في الآفاقِ منزِلُهُ ويَلوحُ فِي الأمْواهِ للرَّائِي
يا مَنْ يخِفُّ لدَى سَكينَتِهِ جَبَلا شمامِ وطُور سِيناءِ[٣]
جلَّت منَ الآفاقِ رُتْبتُه عنْ فَرْقَدٍ منْها وجَوْزاءِ [٤]

أراد الشاعر أن يجمع لممدوحه بين صفتين: التواضع، وعلو المكانة ورفعة المنزلة، فشبهه بالنجم، فهو وإن كان في عاليًا في منزلته ومكانته إلا أنه قريبٌ جدًا من الرائي بضوئه ونوره، وهنا نرى الشاعر يقيم الحجة على اجتماع هاتين الصفتين المتضادتين في الممدوح من خلال التشبيه من الواقع **(كالنجم في الآفاق منزله....)**، ثم صعد بمنزلته عندما علا احساسه وانفعاله بمكانة الممدوح،

(١) التشبيه عند امرئ القيس "دراسة في الإبداع والتقويم والسلوك" د/ محمد إبراهيم شادي، دار
اليقين للنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٣١هـ-٢٠٢٠م .
(٢) الديوان، ٨٦/١، ٨٧ .
(٣) شمام: اسم جبل لباهلة، معجم البلدان،٤١٠/٣، سيناؤه: قال الليث: طور سيناء جبل. وهو
اسم جبل بقرب أيلة. وقال الجوهري: طور سيناء جبل بالشام، وهو طور أضيف إلى سيناء وهو شجر، معجم البلدان، ٤٥/٤. دار الصادر- بيروت، ط: الثانية /١٩٩٥
(٤) فرقد: الفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي، (لسان العرب) مادة (فرقد). جوزاء: الجوزاء: نجم يقال إنه يعترض في جوز السماء، (لسان العرب) مادة (جوز) .

فعدل عن الأصل وهو التشبيه بالجبل في السكينة والثبات والرزانة إلى المفاضلة القائمة على التشبيه الضمني الذي يرمي إلى علو رتبة الممدوح على رتبة الجبل وليس أي جبل وإنما اختار جبلين عظيمين هما غاية في الثبات والرزانة **(شمام- سيناء)** فتدرج من المشابهة إلى المفاضلة؛ ليصعد بمكانة الممدوح في الصفة الأولى **(التواضع والسكينة)** بالبيت الثالث: **(يا من يخف لدى سكينته...)**، ثم صعد الصفة الثانية **(العلو والرفعة)** بالمفاضلة الضمنية في البيت الرابع: **(جلت من الآفاق رتبته....)**، وهكذا تدرج الشاعر بصفات الممدوح، فلم يقتصر الأمر على التشبيه بالجبل والنجم بل يتدرج إلى المفاضلة الضمنية، ليرتقي بدرجة الممدوح، ويجعله متفردًا في المنزلة والعلو .

وإن كان الشاعر هنا يفاضل بين ممدوحه وبين المفضل عليه لإثبات تفوقه عليه وعلوه ففي سياقات أخرى نراه يقلب الحقائق والثوابت الراسخة لدى المتلقي فيجعل المفضل عليه ليس مجرد مفضولٍ تفوق عليه المفضل وزاد عليه في الصفة بل ينتقص من شأنه ويحط بدرجته ليرفع المفضل في المقابل ويصعد برتبته، فنرى التدلي والتنزل برتبة المفضل عليه يقابله الترقي برتبة المفضل من المشابهة إلى الأفضلية إلى تلاشي رتبة المفضل عليه ونسيانها تمامًا أمام رتبة المفضل ومنزلته،، وهذه هي صنعة الشاعر في تحقيق المبالغة، فهو ينسيك التشبيه لتقف على تفوق المفضل ورفعته، وتلك درجة عالية في المبالغة.

وقد تدرج الشاعر في بناء المفاضلة للصعود برتبة المفضل والحط بدرجة المفضل عليه، يقول في مدح الملك فلاح[1]:

فكأنَّ جُودَ فَلاحِ وَبْلُ ربابِهِ ... لمَّا تجَلْجَل وبلُهُ وحَياؤهُ

مَلِكٌ سمَتْ شَرفًا سَماءُ فخارِهِ ... حتَّى سمَت فوْقَ السَّماءِ سَماؤُهُ

(١) الديوان، ١/٧٣، ٧٤ .

وفتًى يقِلُّ البحرُ عنْهُ مَـواهبًا ويَـخِـفُّ عـنـدَ وَقـارِهِ سِـيـنـاؤُهُ
أزْرَى بنـائلِ حـاتمٍ وسـخائـهِ فـي العصْـرِ نائلُه لنَـا وسـخَاؤُهُ

بدأ الشاعر بتشبيه الملك في جوده وسخائه بالوبل الشديد الذي يفيض بالنعم والخيرات **(فكأن جود فلاح وبل ربابه)**، ثم انتقل من التشبيه الصريح إلى التشبيه الضمني الذي صيغ في قالب المفاضلة، فرفع درجته في السمو والرفعة والعلو فوق السماء **(حتى سمت فوق السماء سماؤه)**، كما رفع رتبته في المواهب والعطايا على البحر **(وفتًى يقل البحر عنه مواهبًا)**، وفي السكينة والوقار على جبل سيناء **(ويخف عند وقاره سيناؤه)**، فلم يكتف بالتشبيه بل تدرج في الصعود بمكانة الممدوح حتى ارتقى فوق منزلة من ضرب بهم المثل في العلو والرفعة، وفي الجود وكثرة العطايا، وفي الثبات والسكينة، وهنا تحول الأصل إلى فرع والفرع إلى أصل عن طريق التشبيه المقلوب؛ الذي يجعل للمعنى في النفس موقعًا حسنًا " وجِهَتُه الساحرة أنه يُوقع المبالغةَ في نفسك من حيث لا تشعر، ويُفيدُكَهَا من غير أن يظهر ادِّعاؤه لها، لأنه وضع كلامَه وَضْعَ مَنْ يقيس على أصل متَّفَقٍ عليه، ويُزَجِّي الخبر عن أمرٍ مسلَّم لا حاجة فيه إلى دعوى ولا إشفاقَ من خلاف مخالفٍ وإنكار منكرٍ، "[1]

أرأيت كيف خرج على النسق المعهود المألوف إلى النسق غير المعهود عند الناس حتى يحقق لممدوحه التفرد والتميز، ويصنع الفوارق في الدرجات؟ فوقار الجبل ليس بشيء أمام وقار الممدوح، وعطاء البحر ليس بشيء أمام عطاء الممدوح، فإن كان البحر منبع الرزق ومصدر والعطاء، فالممدوح أكثر منه مواهبًا وأكرم عطاءً .

ومن الملاحظ أن المفاضلة لم تأت على مستوى واحد في مديح الشاعر،

(١) أسرار البلاغة، ٢٢٣/١ .

بمعنى أنه لم يعل رتبة الممدوح في كل قصيدة، ولم يجر في عرض صفاته والمبالغة في اتصافه بها على نسقٍ واحدٍ؛ فقد اختلفت صياغتها من سياق لآخر، وعلى مستوى القصيدة الواحدة، ففي كثيرٍ من السياقات نراه في مدح أحد الملوك يلجأ إلى أسلوب المفاضلة في الحديث عن صفاته، وأنه بلغ فيها منزلةً لم يرتق إليها غيره، وأنه الأفضل فيها؛ للمبالغة في مدحه ورفع درجته، ثم نراه في مدح هذا الملك في سياقٍ آخر يأت بالتشبيه فيظل الممدوح يستمد من المشبه به ولا يتفوق عليه، ويكتف الشاعر بمدحه باكتساب تلك الصفات التي سبق وفضله فيها دون أن يفضله هنا بل يشير إلى روافد تلك الصفات والمشهورين بها؛ لإلحاق الممدوح بهم، فنراه مثلاً في مدح الملك فلاح بالكرم والحلم والصدق يفضله على أشهر من اتصف بتلك الصفات بل يحط من درجاتهم أمامه ويتجاهل مكانتهم ويتناساها ليعتلي ممدوحه عرش الصفة دون منازع، يقول: (١)

أنْدَى وأسْمحُ مِن يزيدَ وحاتمٍ وأجلُّ من ربِّ السديرِ وأنْجبُ
مَنْ جعفرٌ في صِدْقهِ مَن أكثمٌ فِي حِلمهِ مَن عامرٌ مَنْ مُصعب

وفي سياقٍ آخر يكتفِ بتشبيهه بالمشهورين بالصفات مع إبقائها متأصلة فيهم وأنهم لا يزالون الأفضل فيها ولكن يحاول إلحاق الممدوح بهم ومشابهته إياهم، يقول(٢):

وكَمْ همَى مِنْك غَيْثُ الجُودِ مُنْسكبًا عن أنْمُلٍ حاتميَّاتٍ سخِيَّاتِ
أشْبَهْتَ أكْثمَ في الحِلْمِ الرَّزينِ وقَدْ أشْبَهتَ جسَّاسَ بكْرٍ في الحَميّاتِ

فإن أعلى الشاعر مكانة ممدوحه في السياق السابق وفضله على حاتم في الجود والعطاء، وعلى أكثم في الحلم، فقد اكتفى في هذا السياق بتشبيهه بهما، ولا يؤخذ عليه هذا، ولا ينتقص من صدق مديحه؛ لأن السياق ليس سياق

(١) الديوان، ١٤٢/١، ١٤٣ .
(٢) الديوان، ٢٣٧/١ .

تفضيل، بل سياق مدح وتشبيه بمن بلغوا في الصفة مبلغًا عظيمًا وتفوقوا فيها.

وقد يكون التباين على مستوى القصيدة الواحدة، بحيث يرفع الممدوح ويفضله في بعض الصفات، ثم ينزل به في صفات أخرى، ويكتفي بردها إلى روافدها وأصولها ويلحق بهم الممدوح عن طريق التشبيه، ويكون ذلك في السياق الواحد، كما جاء في مدح الملك حمير فقد رفعه الشاعر وفضله في صفات العزة والعظمة والسيادة والرفعة، ونزل به في صفتي الكرم والشجاعة، يقول [(١)]:

أعَزُّ مُلُوكِ الأرضِ نفْسًا ومَعشرًا وأعظَمُهُم شَأنًا وأعلَى وأكبَرُ

وأثْقَلُ حِلْمًا من ثبيرٍ وكَبْكبٍ وأوضَحُ منْ شَمسِ النهارِ وأشهرْ

إذا جادَ في يومِ النَّدى فهو حاتمٌ وإنْ كَرَّ في يومِ الوَغَى فهو عنتَرْ

جاءت هذه المفاضلة بعد مقدمة تضمنت مدح الملك حمير وتمجيد خصاله ومحامده، وأراد تأكيد هذا المعنى الذي قد يوهم أن الممدوح يتساوى مع غيره فيه، ويجعل للملك خصوصية ومنزلة مستقلة، فأتبعه بالمفاضلة التي استقصت العديد من الصفات التي تدل على علو رتبة الممدوح والصعود بدرجته **(أعز – أعظم – أعلى – أكبر – أثقل – أوضح – أشهر)**، وعدم الاكتفاء ببعض منها دون الآخر؛ للمبالغة في علاه وكأنه يحيطه بما يدل على كمال رفعته وعزته، ولكن بعد تلك المفاضلة ينزل الشاعر بممدوحه في صفتي الكرم والشجاعة، كما جاء في البيت الثالث **(إذا جاد في يوم الندى .....)** ليشبهه بحاتم في الكرم، وبعنترة في الشجاعة وهذا يؤخذ عليه؛ فالسياق سياق مبالغة وتفضيل للممدوح على غيره، فكان المقتضى أن يترقى في المديح فيرفع الممدوح على **(حاتم، عنترة)** في الكرم والشجاعة؛ لأن " الصفات المتعددة ينبغي أن يبدأ في الذكر بالأدنى مرتبةً ثم بعدها بما هو أعلى منها إلى أن ينتهي إلى آخرها .

(١) الديوان ١/ ٥٩٢، ٥٩٣ .

هذا في مقام المدح " [1]، ولكنه أبقاهما على تفوقهما واعتلائهما عرش هاتين الصفتين واكتفى بإلحاق الممدوح بهما، فحدث تباين في حركة المعنى من التفضيل الصريح الذي يدل على علو رتبة المفضل على المفضل عليه إلى الهبوط إلى التشبيه الذي يدل على إلحاق الناقص في الصفة بالكامل فيها، وإن كان قد بنى التشبيه على حذف الأداة ليحقق المبالغة، وهذا سقوط من الشاعر وهبوط بدرجة الممدوح، خاصة وأنه عاد للمفاضلة وصعد بالممدوح بعد الهبوط به في البيت التالي لهذه الأبيات :

يُقصِّر عنه في معاليهِ قيْصَرٌ وهيْهاتَ أنْ يعلُو معاليهِ قيصَرُ

وفي سياق آخر يقول عنه [2]:

هوَ أمجَدُ الأمْلاكِ إنْ ذُكِروا بمَا فَعلُوا منَ الأفعالِ وهوَ الأفْخَرُ

لا ربُّ غُمْدانٍ يُطاولُه ولا هَرِمٌ ولا نُعمانُهُ والمُنذِرُ

وكأنَّ حاتِمَ قَدْ حبَاهُ سخاءَهُ وأعارَهُ فرْطَ الشجاعةِ عنترُ

أعْلَى وأرفَعُ رُتْبةً من تُبَّعٍ وأعَزُّ نفْسًا من عِصامٍ وأشْهرُ

لكَ سِيرةٌ لم تُطرَ أملاكُ الورَى إلا وأنتَ بها أجَلُّ وأكبرُ

لمْ يسْعَ سعيَكَ في العُلا كِسْرى ولا دارا ولا المَلكُ المتوَّجُ قيصَرُ [3]

(١) المثل السائر لابن الأثير، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ١٩٦/٢، دار الجيل- بيروت، ط: الأولى /١٤١١هـ-١٩٩١م .

(٢) الديوان: ٥٨٣/١، ٥٨٤، ٥٨٥.

(٣) هذه الأبيات ليست على ترتيبها في القصيدة، ولكن اكتفى البحث بالأبيات موطن الشاهد.

فرفعه في المجد والفخر، والعلو والرفعة، ونزل به في الشجاعة والكرم، فجعله مستمدًا كرمه من حاتم وشجاعته من عنترة، فهما ما زالا الأصل والمنبع وهو التابع. وفي سياق آخر نراه يصعد بدرجته في هاتين الصفتين من التشبيه إلى المفاضلة، فيفضله على حاتم في الكرم، وعنتر في الشجاعة، يقول [١]:

ففي السَّماحةِ ما باراهُ حاتِمُها وفي الشَّجاعةِ ما باراهُ عنترُهَا

وهذا يظهر عدم مصداقية الشاعر في مدحه لهذا الملك، خاصةً وأنه فضل غيره عليه في سياقات أخرى كما سبق، وكان الغرض من مدحه التكسب والطمع في عطاياه.

المبحث الرابع: استلهام المفضل عليه من الموروث الثقافي:

ومن الخصائص التي اتسمت بها المفاضلة عند الشاعر أنه كان يستلهم التراث في تشكيل بنائها، فيستدعي المفضل عليه الذي اشتهر بهذه الصفة التي هي مناط التفضيل؛ ليكشف بهذا عن منتهى المبالغة في تفوق رتبة الممدوح على المفضل عليه، الذي كان يتنوع حسب الصفة التي عرف بها، وهذا ضربٌ من المبالغة عظيم .

والتفضيل القائم على استدعاء الشخصيات التراثية قد كثر عند الشاعر واشتهر به حتى أصبح ظاهرةً عنده في مدحه، تعكس موروثه الثقافي، والشاعر أي شاعر ما كان يبدأ في نظم الشعر إلا بعد حفظ القديم، واستيعابه جيدًا، فامتلاء المبدع بالتراث ضرورة فنية، وفريضة إبداعية، فالشاعر إنما يظفر بأصالته الشخصية بقدر ما ينغرس في تراث أمته، ولغته الشعرية[٢] .

(١) الديوان، ٥٩٦/١ .

(٢) ينظر علم الأسلوب، صلاح فضل، صـ ٦٠، الهيئة المصرية للكتاب، ط:الثانية/ ١٩٨٥.

ومما جاء على هذا النسق، قول الشاعر في مدح الملك فلاح [١]:

رحَلَتْ مطايا العزمِ في صحصحِ الرَّجا ... إلى ملكٍ ينْمو إلى آلِ يشْجُبُ[٢]

إلى ملكٍ منْ آلِ نبهانَ شكلُهُ ... مدى الدهرِ في الأملاكِ عنقاءُ مُغْرِبِ

إلى كَوْكبِ العَلْيا فَلاحِ بنِ مُحسنٍ ... إلى بَدْرِ قحْطانٍ إلى شمس يَعرُبِ[٣]

فأضْحَى رجَائي فيهِ يَرْعَى مَسارحًا ... تَرُوقُ برَوْضٍ للسَّماحَةِ مُخْصبِ

وطلَّقْتُ أبْكارِ المكادِحِ كلِّها ... وخالَعْتُ منِّي أُهبةَ المُتأهِّبِ

وأصْبَحْتُ من بينِ البَريَّةِ واثِقًا ... بأفْصَحَ من سَحْبانَ نُطْقًا وأخطَبِ[٤]

وأسمَحَ من كعْبِ بنِ مامَةَ في النَّدى ... وأَفْرسَ من زَيْدِ الجيادِ وأذْرَبِ[٥]

وأشهَرَ منْ شمْسِ النَّهارِ وبدرِها ... وأثقَلَ من قَدْسٍ وَرَضْوى وكَبْكبِ[٦]

---

(١) الديوان، ١٦٤/١ .

(٢) صحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار. لسان العرب، مادة (صحح) . آل يشجب: هو يشجب بن يعرب بن قحطان، جد جاهلي يماني قديم، وهو أبو سبأ الذي منه كهلان وحمير، ينظر الأعلام، ١٩١/٨، دار العلم للملايين، ط:الخامسة عشر /٢٠٠٢م .

(٣) قحطان: هو قحطان بن عابر بن شالح بن سام بن نوح: أصل العرب القحطانية، ينظر الأعلام، ١٩٠/٥، ، يعرب: هو يعرب بن قحطان بن عابر: أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، ينظر الأعلام، ١٩٢/٨ .

(٤) سحبان: يضرب به المثل، يقال: أخطب من سحبان وائل، مجمع الأمثال، للنيسابوري١/٤٤٠،ت: محمد محي الدين، دارالمعرفة–بيروت

(٥) كعب بن مامة: كان ممن يضرب بهم المثل في الجود، ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي، ٨١/١، زيد الجياد: هو زيد الخيل بن مهلل من طئ، جاهلي أدرك الإسلام، سمي بذلك لكثرة خيله، وهو من الشعراء الفرسان، ينظر الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١٧٩، ١٨٠، دار الحديث– القاهرة، ١٤٢٣هـ .

(٦) قدس: جبل عظيم بأرض نجد: ينظر: معجم البلدان ٣٥٣/٤، رضوى جبل بالمدينة: ينظر

=

بدأ الشاعر مدحه بإعلاء مكانة الملك فلاح فرفعه إلى عالم السماء فجعله كوكب العليا وبدر قحطان المضيء وشمس يعرب المشرقة؛ ليجمع له بين الرفعة والعلا وبين المجد وعراقة النسب الذي يمتد جذوره إلى أصل العرب وأقدم ملوكهم **(قحطان- يعرب)** ، فأضحى رجاؤه ينمو ويزدهر في روض سماحته، ولم لا وهو للسماحة والجود مصدر خصب، وروضٌ بهيج ينهل الجميع منه، ولكن تلك الصفات والنعوت لم تظهر تفوق الممدوح وتميزه فيها؛ فقد يشاركه فيها غيره أو يفوقه فيها، ولم تبرز خصوصيته وتفرده في خصاله وصفاته كملكٍ عظيم وحليم تحبه الرعية وتطيعه، وحاكمٍ قوي شديد تهابه الرعية وتخشاه، " وقد كان الحكام بدورهم لا يقبلون من الشعراء إلا ما يثبت مهابتهم في نفوس الرعية، ويضخم صورهم في أوهام المحكومين مما دفع الشعراء دفعًا إلى (المبالغة)، وينتهي الأمر بالنقاد إلى تقبلها في الشعر بوصفها أمرًا ضروريًا "[1]

وهنا تأتي الموازنة التي تصعد برتبة الممدوح وتحط بدرجة المفضل عليه أمامها، فيستلهم الشاعر التراث ويستحضر في بناء المفاضلة من اشتهروا بالصفة وصاروا أعلامًا فيها، كسحبان في الفصاحة والخطابة **(أفصح من سحبان نطقًا وأخطب)**، وهنا جمع له بين صفتي تفضيل **(أفصح- أخطب)**، وعدم تقييد أخطب يدل على العموم والتفوق في الخطابة على الجميع، وهذه منتهى المبالغة في الصفة، وفضله على كعب بن مامة في الجود والسماحة **(وأسمح من كعب بن مامة)**، وعلى زيد الجياد في الفراسة **(وأفرس من زيد**

=

معجم البلدان٣/٥٨، كبكب: جبل خلف عرفات مشرف عليها، معجم البلدان، ٤/٤٩٢، ٤٩٣.

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د/ جابر عصفور، صـ٣٨٥، الموازنة للآمدي،١/١٤٩، ٤٠٤.

الجـــياد)، ويلاحظ براعة الشاعر ودقته في اختيار المفضل عليه، وثقافته التاريخية التي تمكنه من اختيار المشهورين في الصفة دون غيرهم من المغمورين، وهنا تصل المبالغة ذروتها، فإذا كان المخاطب يسلم بمكانة المفضل عليهم الذين بلغوا في الصفة مبلغًا عظيمًا واشتهروا بها، فإن ممدوحه ليس مشابهًا لهم أو مساويًا بل تفوق عليهم وأطاح بهم واعتلى عرش الصفة فدنت منزلتهم أمام رفعته وعلو درجته، وهذا ضرب من المبالغة عظيم .

ويصعد الشاعر بمنزلة الممدوح فيترقى من عالم الأرض والتفوق على البشر إلى عالم السماء والتفوق على النجوم؛ ليجمع في مدحه بين جهات مختلفة وصفات متعددة، فقد بلغ من الشهرة منتهاها حتى صار أشهر من شمس النهار وبدرها **(وأشهر من شمس النهار وبدرها)**، وفي التقييد بالنهار تصعيد للشهرة والوضوح؛ لأن الشمس أوضح ما تكون بالنهار، فتكون في ذروتها وفي غاية الظهور، فلا يعتريها غيوم أو ظلام، كما أن **(البدر)** أوضح وأكمل حالات القمر، وهو تتميم[١] يزيد المبالغة توهجًا؛ حيث لو اقتصر على شهرة الشمس دون القمر فقد يتوهم أن شهرته ليست في كل أحواله وأوقاته، وأنه ربما يكون معروفًا لدى البعض دون الآخر، فيعتري تلك الشهرة بعض الغياب، فجمع له بين الشهرة ليلاً ونهارًا؛ لتعميمها وشمولها .

ويعود إلى الأرض مرةً أخرى ويوازن بينه وبين أعلاها وأثقلها عزةً وشموخًا، إنها الجبال **(قدس- رضوى- كبكب)** ؛ " لما ارتبط به هذا الحيز الكبير في المخيلة العربية من معانٍ شتى كالثبات والوقار والهيبة والعظمة " [٢]،

(١) التتميم هو أن توفر للمعنى حظه من الجودة و تعطيه نصيبه من الصحة ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده أو لفظًا فيه توكيده إلا تذكره ، ينظر: الصناعتين، صـ ٤٣٤ .

(٢) صورة البطل في شعر أبي تمام، قابل رشيد نافع، صـ ١٧٨، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٣٥هـ .

فإذا كانت تلك منزلة الجبال في نفوس المتلقين فعندما يفضل الشاعر ممدوحه عليها يدل ذلك على بلوغه المنتهى في الحلم والرزانة، والثبات والفخامة، ولم يكتف بمفضل عليه واحدٍ بل عدد له ثلاثة جبالٍ؛ للتتميم حتى لا يظن أن أحدها أثقل منه.

وتعلو المفاضلة التي يستدعي فيها الشاعر الشخصيات التراثية، وتصل ذروتها في المبالغة عند صياغتها صياغة ضمنية، يقول في مدح الملك حمير [١]:

منْ دُونه فِي معَاليهِ وهِمَّتهِ ... نُعمَانُها في مَعاليهِ ومُنْذُرُهَا

وابْنُ هِنْدٍ وما سَيْفُ بنُ ذي يَزنٍ ... وما لَديهِ جُلَنْداهَا وكَرْكُرُهَا

ففِي السَّماحةِ ما باراهُ حاتِمُها ... وفي الشَّجاعةِ ما باراهُ عنترُهَا

أحْيَا السَّماحةَ بعدَ المَوْتِ فانتَفَضتْ ... منْ قبرِها قال مَنْ بعدِي يُغيِّرُهَا

وسارَ في المُلْكِ منْهُ سيرَةً حسُنتْ ... ما سارَها قَبلُ كِسراها وقَيْصرَهَا

وهنا تتحقق المبالغة عن طريق المفاضلة الضمنية، وعن طريق تدني رتبة المفضل عليه على من ضرب بهم المثل في الاتصاف بالصفة المقصودة، ليتلاشى ذلك الموروث والمتعارف، ويحل الممدوح في تلك المكانة والمنزلة، وبذلك يتناسى المفضل عليه مطلقًا أمام تلك المنزلة التي بلغها المفضل .

ومما يلاحظ في تشكيل بنية المفاضلة في نسق الإبداع الشعري عند الكيذاوي، أنه كان ينوع في اختيار المفضل عليه، فتارةً يكون من عالم البشر، وتارة من عالم الأرض، ثم يترقى إلى عالم السماء متخذًا من كواكبها وسيلةً لتحقيق المبالغة التي تضمن لممدوحه التفوق والتميز والمفارقة، وتجعله نموذجًا متفردًا في الصفة المقصودة، وهذه هي طبيعة الشعراء الذين كانوا يستقون لبنات صورهم من الطبيعة التي شكلتهم جسديًا، وشعوريًا، وسلوكيًا، وكانت مصدرًا

(١) الديوان، ٥٩٦/١ .

لإلهامهم، وخير مترجم لأحوالهم ، يقول ابن طباطبا: " واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها، وهم أهل بر، صحونهم البوادي وسقوفهم السماء فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منهما وفيهما " (١)

ومن التنوع في اختيار المفضل عليه، قول الشاعر يمدح الملك فلاح (٢):

مليكٌ بِحُكْمِ العدْلِ منْهُ علَى الوَرَى ... تُدارَ بكَفَّيهِ السَّعادةُ والشَّقَا

فما خالَ منْ شُمِّ المراتبِ رتبةً ... سَمَت وعَلَت إلَّا إلَى سَمْكها رقَا

ولا رامَ منْ صَعْبِ المطالبِ مَطْلبًا ... وحاولَهُ إلَّا وكان الموَفَّقَا

يَدينُ له عَمرُو بنُ هَندٍ وتُبَّعٌ ... وقيْصَرُ في العَلْيا وكِسْرَى بنُ أرْتقَا

تَراهُ من المَرِّيخِ أرْفعَ رُتبةً ... وأشهَرَ من شَمسِ النِّهار وأَشْرقَا

وأسْمحَ منْ كعبِ بنِ مامَةَ راحَةً ... وأفصَحَ من سَحْبانَ لفْظًا ومَنْطقَا

بدأ الشاعر ببيان منزلة الممدوح ورفعته وعلو مكانته فلم يترك مرتبة من مراتب العليا إلا سما إليه وارتقى حتى أصبح يتقلد أعلى الرتب والمعالي، ولما كان السياق في بيان علو المنزلة ورفعة المكانة ناسب أن يأتي بمن اشتهروا بالسيادة والرفعة، وهنا تظهر ثقافة الشاعر التاريخية واستلهام التراث لمعرفة أصحاب الصفات الذين اشتهروا بها، وصاروا أعلامًا فيها، فجاء بعمرو بن هند وقوم تبع فهم أكثر من عرفوا بالرفعة واشتهروا بالسيادة من العرب، ليس ذلك فحسب فلم يقتصر على العرب حتى لا يظن أن هناك من العجم من ارتقا وسبقه في الرفعة، أو أن هناك من هو أعلى منه منزلة، ولذا أتى بـ **(قيصر، كسرى)** وهذا الجمع بين العرب والعجم أفاد التعميم في المبالغة، كما أن الشاعر عبر عن

(١) عيار الشعر ، ١٥/١ .

(٢) الديوان ٢/ ٧٦٨ .

علو الممدوح من خلال المفاضلة الضمنية **(يدين)** للمبالغة في التفضيل فهو لم يكتف برفع رتبته على من عرفوا بالعليا من العرب والعجم بل أصبحوا يدينون له بها، أي أنه عندما بلغ أعلى المراتب وسما أرقى الرتب أصبح له دينًا على هؤلاء السابقين يجب الوفاء به وهنا نرى قمة المبالغة .

ولم يكتف الشاعر برفع رتبة ممدوحه على أهل الأرض حتى لا يظن أن هناك أعلى منه في السماء بل رفعه على الكواكب **(المريخ ، الشمس)** فارتقى من المبالغة الضمنية في عالم الأرض إلى الصريحة في عالم السماء **(أرفع– أشهر– أشرف)** ، ثم ينتقل من الرفعة والعليا إلى صفتي الجود والفصاحة وهنا يكتفي بأهل الأرض لوجودهما فيهم، فيرفع ممدوحه فيهما على أشهر القدماء **(كعب– سحبان)** من خلال التفضيل الصريح **(أسمح– أفصح)** .

المبحث الخامس: المفاضلة وسيلة للاستدراج والإقناع .

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: المفاضلة وسيلة لاستدراج الممدوح واستمالته للعطاء .

المطلب الثاني: المفاضلة وسيلة لإقناع المتلقي والتأثير عليه .

المبحث الخامس: المفاضلة وسيلة للاستدراج والإقناع .

في هذا المبحث يتوقف البحث ليجلي الغرض المقصود من مسلك الشاعر مسلك المفاضلة في مديحه، وكيف اعتمد عليها اعتمادًا رئيسًا في تحقيق ما يرمي إليه وهو استدراج الممدوح واستمالته للجود والعطاء، وهزه لبذل المعروف، والتأثير عليه بكل طريق يدفعه إلى الكرم، واستقطاب المتلقي والتأثير عليه وإقناعه بمكانة الممدوح ورفعته .

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول:المفاضلة وسيلة لاستدراج الممدوح واستمالته للعطاء.

من خصائص المفاضلة عند الشاعر أنه قد اتخذ منها وسيلةً يرتكز عليها لاستدراج الممدوح واستمالته وهزه للعطاء، فكأنه يطريه ويثني عليه ويعلي شأنه قبل مطلبه حتى يستميل قلبه ويحرك مشاعره فيبادر باستجابته ويحقق له مقصده، فلم تكن المبالغة مقصودة لذاتها ولكن التصعيد في المجد استمالة له ليحقق ما يريده وهو العطاء، يقول الشاعر في مدح الملك عرار بن فلاح، [(١)]:

حدِّثْ بهِ في دُسُوتِ الناسِ إنَّ لهُ ... في الجُودِ كفًّا يُحاكي الدُّلَّحَ الوُكُفَا[(٢)]

واخْبرْ وقُلْ إنَّه أوفَى الورَى ذِممًا ... أزْكاهُمُ حسَبًا أعلاهمُ شرفًا

تَلقاهُ في دسْتهِ بالحِلمِ مُحْتَبيًا ... بالحمدِ مُتَّزِرًا بالفخْرِ مُلتَحِفًا

يا أوسَعَ النَّاسِ صَفْحًا في سجيَّتِهِ ... عنْ مَنْ جنَى مِنْ جِناياتٍ أو اقْترفَا

عجِّلْ بجُودِكَ والسُفْحانِ مِنكَ علَى ... عافٍ إليْكَ دنَا بالمدْحِ وازْدلَفَا[(٣)]

---

(١) الديوان، ٢/ ٧٢٥ .

(٢) الدلح: السحابة المثقلة بالماء، لسان العرب، مادة (دلح)، الوكف: مصدر وكف أي: سال، وقال أبو عبيدة: الوكوف: الغزيرة الكثيرة الدر، لسان العرب، مادة (وكف) .

(٣) السفحان: من السفح، وهو الصب، كالإناء الممتلئ إذا صب فيه شيء يخرج مما فيه بقدر ما صب فيه، (لسان العرب) مادة: سفح.

بدأ الشاعر المفاضلة بأساليب الأمر التي تزيد من التهييج والإلهاب في نفوس المتلقين **(حدث، اخبر، قل)**؛ للحث على إذاعة أمر الملك واشتهار صفاته الكريمة ومكانته الرفيعة بين الناس، وكان هذا الإطراء للملك بصفاته الجليلة وخصاله النبيلة قد جاء بأسلوب المفاضلة **(أوفى الورى، أزكاهم، أعلاهم، أوسع الناس)**؛ لهز مشاعره واستعطافه واستمالة قلبه لاستجابة الشاعر وتلبية مقاصده التي صرح بها مباشرة عقب المفاضلة، وهي قوله: **(عجل بجودك والسفحان....)** أي: أسرع باحتوائي بكرمك وسخائك وصب فيضك الذي يكفيني ويفيض عن حاجتي، فلا أحتاج بعده ولا أطلب .

ومن الملاحظ أن المفضل عليه قد جاء عامًا **(الورى–الناس)** لقصد التعميم، وبعد التقييد بالمفضل عليه ينتقل إلى التفضيل المطلق **(أزكاهم، أعلاهم)** وهذه ظاهرة بارزة عنده، فقد يبدأ بذكر المفضل عليه في صدر البيت مرةً واحدةً ثم يحذفه بعد ذلك ويطوي ذكره حتى ينسي المتلقي إياه فلا يخطر بباله، وكأنه يريده أن يتلاشى أمام المفضل وتغيب صورته؛ ليملأ ذهن المتلقي ويشغل فكره بصورة المفضل وحده؛ لأن مجرد ذكره يعني أنه ما زال مهمًا في تلك الصفة التي بني عليها المفاضلة، ومثل هذا الحذف قد علل له الإمام عبد القاهر، فقد " يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده، قد عُلم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعولٌ سواه، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام، إلا أنك تطَّرِحه وتتناساه وتدعه/ يلزم ضمير النفس، وذلك أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلُصَ له، وتتصرف بجملتها وكما هي إليه "[1]

وقد يتقدم بمطالبه ثم يعقبها بالمفاضلة التي تستميل الممدوح وتستحثه على

(١) دلائل الإعجاز، صـ ١٥٦

الاستجابة، يقول الشاعر في مدح الملك المظفر [١]:

أَلَا فَاطْلُبَنَّ الغِنَى واتَّخِذْ ... لَكَ العِيسَ دُون المِهادِ مِهادَا
ولُذْ بالمُظَفَّرِ واسْتَجْدِهِ ... يَفِيكَ الطَّرِيفَ معًا والتِّلادَا
أَحَقُّ مُلُوكِ الورَى بالثَّنا ... وأَجْدرُ في الجُودِ أن يُسْتَجادَا
وأشرَفُ أهلِ العُلا منْصبًا ... وأَطْولُ باعًا وأَرْخَى نِجادَا
وأَوْفَى جميعِ الورَى ذِمةً ... وأَقْصَدُ سَهْمًا وأَوْرَى زِنَادا

مهد الشاعر لمديحه وقدم لمطالبه بأداة التنبيه **(ألا)** الاستفتاحية، وقد صاغ مقاصده في أساليب إنشائية تثير الانفعال وتوقظ الأذهان **(فاطلبن، واتخذ، ولذ، واستجده)**، مما يعكس مدى حرص الشاعر على الاستجابة وسرعة المبادرة بالتحقيق، وهذا ما جعله يقرن الأمر بعلته **(أحق ملوك الورى .....)**؛ ليكون أقوى في إقناع المتلقي من سوقه بدون علة، ولتصعيد الإقناع جاءت العلة مصوغة بأسلوب المفاضلة التي ربطت ما قبلها بما بعدها فتماسك النص وتلاحم بنيانه.

وتتوالى صيغ التفضيل التي تعلى شأن الملك المظفر وترفع منزلته وتظهر تفوقه في صفاته عن أقرانه من الملوك والسلاطين (**أجدر، أشرف،....)**؛ لاستمالته إلى العطاء وتحقيق ما قدمه الشاعر من مطالب، ولما لا وهو أحق ملوك الورى بالثناء والمدح والتفخيم وأجدرهم بالجود والسخاء؛ لأنه أهلٌ لذلك وحقيقٌ به، وهو أشرف أهل العلا منصبًا وجاهًا ورفعةً، **(وأطول باعًا)** كناية عن الجود والسخاء، **(وأرخى نجادا)** كناية عن السلم والأمان، فهو أهلٌ للأمن والاستقرار محبٌ للسلام وليس حريصًا على القتال والحرب، وأوفى الخلق بالعهود والذمم، فهو وإن كان يحب السلم والأمان إلا أنه في حالة القتال أقصد سهمًا وأصيب، وأشد إشعالًا لنار الحرب، فهو على استعداد دائم للقتال

(١) الديوان ١/ ٣٧٥.

وخوض المعارك، تبدو عليه علامات القوة ودلائل الشجاعة، وهو لا يريد تحقيق شيء والفوز به إلا وكان أسبق إليه .

المطلب الثاني: المفاضلة وسيلة لإقناع المتلقي والتأثير عليه:

وكما اتخذ الشاعر من المفاضلة وسيلة لاستمالة الممدوح واستدراجه للعطاء، فقد اتخذ منها أيضًا متكئًا لاستقطاب المتلقي وإقناعه بمكانة الممدوح، وفي هذا المطلب تنوعت طرق الشاعر ومسالكه في التأثير على المتلقي، ومن هذه الطرق:

- **اقتران المفاضلة بما يؤكدها ويمكنها في ذهن المتلقي .**

إن تفضيل الشاعر لممدوحه على غيره ومبالغته في رفعته وتفوقه في جميع صفاته وخصاله، وادعاء أن ليس له مساوٍ أو مكافئ وأنه الوحيد الأوحد الذي تفرد بالصفة واستعلى فيها أمرٌ مثيرٌ وفي حاجة إلى إقناع المخاطب وحجاجه؛ فقد يظن أنها من باب التزايد والمبالغة وأن الممدوح ليس بهذه الصورة، أو لم يرتق إلى تلك المنزلة، وهنا نرى الشاعر في كثير من مفاضلاته يقرنها بما يؤكد معناها ويقرره في نفوس المتلقين، كأن يتبعها **بالاستفهام الحجاجي** الذي يدعم هذه المفاضلة ويؤكدها بالدليل المحسوس عن طريق التشبيه الضمني؛ لإقناع مخاطبه بالحجة والدليل القاطع على صدق ما يدعيه، " فالشعراء قد تحلق خيالاتهم، وترتفع إلى آفاق تبدو في أول وهلة غريبة على جمهور المتلقين، ومن ثم يجدون أنفسهم بحاجة إلى احتواء هذا الاستغراب حفاظًا منهم على عاشقي فنهم، فيلجأون إلى التشبيه ويأخذون منه برهانًا على أن ما أبدعوه أو ابتكروه يمكن أن يكون أمرًا مسلمًا، فهو ليس بدعًا، ولا مستغربًا فإن له نظائر تقرها العقول، ولا تأباها الطباع " [1]

(١) التشبيه الضمني، د/ عبد الموجود متولي بهنسي، صـ ٣٧٥ .

يقول الشاعر في مدح الملك كهلان (١) :

تفـرَّدَ بالمُـلكَ المـؤَثَّـلِ فـارْتـقَـى بـهِ فـي سَماواتِ الفَخـارِ انفرادُهُ
ندَى كفِّهِ في العُسْرِ واليُسرِ دأْبُهُ يزيدُ ولا يُخْشَى عليهِ نفـادُهُ
وتخْدِمهُ أفلاكُهُ فهيَ بيضُـهُ وأقلامُهُ في حَـرْبِهِ وجيِـادهُ
بهِ مُبتدا ذِكْرِ الثَّنا ومَعـادُهُ إليهِ ومنهُ غَرسُهُ وحَصـادُهُ
فليسَ لهُ في الجُودِ خَلْقٌ مُشاكلٌ وهلْ يتَساوَى بحرُهُ وثمـادُهُ

يصف الشاعر ممدوحه بمنتهى الجود والكرم، فقد اعتاد العطاء حتى أصبح دأبه في العسر واليسر، ومع كثرة عطائه وكرمه فلا يخشى نفاد ملكه وخزائنه، ولكن مجرد المدح بالأوصاف ليس كافيًا ولا يرضي الشاعر ولا يكشف ما بداخله تجاه الممدوح ومدى انفعاله بمكانته؛ فهذه الأوصاف لم تفد خصوصية له، ولم تفِ بحقه في إبراز تفوقه في الجود وعلو درجته فيه وأن منزلته فوق كل منزلة، ولذا فقد قرن الأوصاف بالتفضيل ليخصه به، فارتقي في مدحه من مجرد الوصف بالصفة التي قد يشاركه فيها غيره أو يفوقه فيها، إلى الموازنة والحكم بالأفضلية؛ للصعود إلى منتهى المبالغة في جوده وعطائه وتفرده فيه، وذلك عن طريق المفاضلة الضمنية في قوله: **(فليس له في الجود خلقٌ مشاكلٌ)** فنفي أن يكون له مشاكلٌ في الجود والكرم، وقد جاء النفي بـ**(ليس)** التي تفيد نفي الحال والاستقبال، وقرنها بـ**(الفاء)** التي ترقي رتبة ما بعدها على ما قبلها، وتصعد بالمنازل، كما أنها ربطت المفاضلة الضمنية بما قبلها من أوصاف متقدمة .

وهذه المفاضلة الضمنية، بهذا الحكم اللافتٌ للانتباه، والمثير للعجب، وهو ادعاء تفوق الممدوح على جملة الخلق ورفعه إلى قمة عرش الجود والسخاء دون منازع، فهذا أمر يحتاج إلى تمكينه في النفوس وترسيخه في العقول، وإقناع

(١) الديوان، ١/٤١٠، ٤١١ .

المخاطب به بالحجة والدليل؛ ليأخذه مأخذ الصدق، وهذا ما فعله الشاعر فترقى في تأكيد المفاضلة فألحقها بالحجة القاطعة، والبرهان الساطع الذي يثبت صدق ما يدعيه، عن طريق نفي التسوية الصريح بأداة الاستفهام **(هل)** في قوله: **(وهل يتساوى بحره وثماده ؟)** أي: هل يجتمع البحر مع البئر ؟ وكأن اجتماع الخلق مع الممدوح كاجتماع النقيضين اللذين لا يلتقيان، وهما البحر بسعته وكثرة مائه والحفرة الصغيرة بها القليل من الماء، وهذه هي حجة الشاعر وبرهانه، فهو يقرر مخاطبه بحقيقة ثابتة؛ لإلزامه واستدراجه إلى الإقناع له والتسليم بما يقول عن مكانة الممدوح؛ لأنه إذا لزمه الإقرار بهذا الأمر الحسي الذي تراه عينه **(نفي التسوية بين البحر والثمد)** لزمه أن يقر ويسلم بما يشبههما، ومعلوم أن ما يشبه (البحر) في العطاء هو الممدوح، وأن ما يشبه (الثمد) هو بقية الخلق، وكأنه يريد أن يصل إلى إقناع المتلقي بأفضلية الممدوح وتفوقه على كافة الخلق في الجود وعلوه فيه، وأنه من الأمور البديهية التي ينبغي أن يسلم بها كل أحد، وأن من لم يسلم له بهذا التفوق ينبغي أن يراجع عقله وتفكيره .

أرأيت كيف أبان الشاعر عن تفوق الممدوح على الخلق في الجود عندما قرن المفاضلة بهذا التشبيه الضمني ؟

أرأيت كيف أرانا جوده وتفوقه بحيث لا يلتقي معه غيره؟

تأمل كيف تدرج الشاعر بالفكرة التي يريد أن يقنع المتلقي بها، وذلك كما يلي:

- مجرد وصف الممدوح بالجود والعطاء .
- الترقي بادعاء تفوق الممدوح على غيره في الجود .
- تأكيد هذا التفوق وهذا العلو بالتشبيه الضمني .
- حجة قريبة ومحسوسة يسلم بها كل من يرى ويسمع، ولا يحتاج إلى إعمال العقل أو الفكر، فنقل الفكرة من محل الشك والإنكار إلى بيان الإمكان والاقتناع والتسليم .

ومن هذا الضرب من تأكيد المفاضلة الضمنية بالاستفهام الحجاجي الذي يفيد نفي التسوية، يقول الشاعر في مدح الملك المظفر[١] :

هُمامٌ عَلا أعْلَى السماواتِ مجـدُهُ فـليس يُسـاميهِ هُناك هُمـامُ
يخِفُّ لهُ في القدْرِ حِلمًا ونُهْيةً ثَبيرٌ مَعًا بلْ يذْبـلٌ وشَـمـامُ
تَسنَّم أعْلَى المجدِ طَوْلًا ولم يزلْ لهُ مِنْ ذُراهُ ذُروةٌ وسَنـامُ
يُناطُ بهِ من عزمهِ ومَضائهِ حُسامٌ ومن نَصْلِ الحُسامِ حُسامُ
فليس لهُ في المَجْدِ خَلْقٌ مُساويًا وهل يَتَساوَى صَارمٌ وكَهـامُ

يمدح الشاعر ممدوحه بأعظم الصفات ويكسبه حلل المجد والسيادة والرفعة، فيصفه بأنه السيد الهمام الذي علا شأنه وارتفع أعلا السماوات مجده، فلم يساميه همام ولم يبلغ درجته ومنزلته شجاع، فأمام عظمته ورفعة قدره خف من عرفوا بالفضل والعلو، والرزانة والحلم، وهنا يعدد من المفاضلات الضمنية ما يمكنه من رفعة الممدوح وتفوقه، **(ليس يساميه هناك همام)، (يخف له في القدر حلمًا ونهيةً....)** ثم يرتقي من الخصوص إلى العموم، وهو التفوق على جميع الخلق **(فليس له في المجد خلقٌ مساويًا)**، إذن سلوك التعميم بعد التخصيص هو ترقي في تصعيد المبالغة؛ للكشف عن مكانة الممدوح وتفرده بين الخلق في أوصافه، كما أن تكرار كلمة **(المجد)** يبرز مدى عناية الشاعر بالصفة المراد رفعة الممدوح فيها، وأنها محور المعنى الذي يدور حوله الحديث، والذي يريد إقناع المتلقي بها .

ويؤكد مفاضلته الضمنية بما يقررها في النفوس ويهيئ لها القبول والإذعان عن طريق استدراج المتلقي واستقطابه بالاستفهام الحجاجي **(وهل يتساوى صارمٌ وكهام؟)** القائم على نفي التسوية الصريح بين أمرين بينهما غاية التباين والتباعد

(١) الديوان، ٩٩٢/٢ .

هما **(الصارم والكهام)**، فشتان ما بين السيف الحاد القاطع وبين الكهام الكليل الذي لا يقطع .

ولا يخفى ما في الاستفهام الحجاجي هنا من تأكيد المعنى السابق وإقناع المخاطب به؛ " وذلك لما يحمله هذا الاستفهام من معانٍ لا تتوفر في النفي الصريح، فالاستفهام بجانب دلالته على النفي يحمل معنى الإنكار والاستبعاد، وتحريك العقول الراكدة، وهز المشاعر الغافلة لتجيب عن هذا السؤال الواضح الظاهر، كما أن فيه إلزام للخصم، وفيه إقامة الحجة عليه، واستدراج له لتغيير موقفه، وفيه كذلك إنصاف للخصم وإعلان عن شدة اقتناعه بما يجيب" (١)

وتأكيد دعوى الشاعر بتفرد الممدوح وتفوقه على الخلق، واستدراج المتلقي للاقتناع بالفكرة عن طريق التمثيل بالمحسوس الظاهر قد انتهجه الشعراء السابقون في مدائحهم لتأكيد معانيهم وتهيئة القلوب والعقول لقبولها، ومن ذلك ما جاء في مدح المتنبي لسيف الدولة، (٢) :

فإنْ تفقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإنَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

فالشاعر " لا يرى الأمير إلا متفردًا متميزًا من الناس، برغم كونه من جملتهم أي أنه فاق الأنام، وهو منهم، وفضلهم مع مشاركته في الجنس لهم، وهذا أمر ليس عجيبًا، إذ لا تناقض فيه، ولا يدعو للتكذيب.....ولم لا ؟!

فالمسك من دم الغزال في أصله، وسائر دم الحيوان يقصر عنه، ورب واحدٍ قد بذَّ أمةً وبعض قد فات جملة !! " (٣)

---

(١) أسلوب نفي التسوية الصريح في النظم القرآني مواقعه وأسراره، أد/ أحمد طلحة، صـ ٧٦، (بتصرف يسير)

(٢) ديوان المتنبي، بشرح العكبري، ت: مصطفى السقا،٣/ ١٠٣، دار المعرفة– بيروت .

(٣) مفهوم المبالغة في الفكر النقدي والبلاغي دراسة تحليلية تطبيقية (في البديع)، د/ أحمد عبد السيد الصاوي، صـ ١٤٢ .

فهذا التشبيه الضمني بالمسك المستخلص من دم الغزال حجة الشاعر وبرهانه على دعواه " بأن الممدوح فاق الناس فوقانا صار به كأنه جنس آخر وأصل مستقل برأسه، وكان فوقانه عليهم على الوجه المذكور مما يمكن أن يدعي استحالته احتجَّ لمدعاه بأن حالته مماثلة لحالة مسلَّمة الإمكان لوقوعها، فشبه حالته بتلك الحالة فتبين أن حالته ممكنة " (١)

فالشاعر حتى يبرهن صدق مدعاه بانفراد الممدوح في صفاته عن سائر جنسه أحال المتلقي إلى الواقع الحسي المشاهد الذي يؤكد له المعنى العقلي ويقرره في ذهنه .

وكما اقترنت المفاضلة بـ**(الاستفهام الحجاجي)** لتأكيد معناها، فقد اقترنت بـ**(الاحتراس)** لتثبيت معناها وتقريره، واحتراسًا مما قد يتوهم منها، يقول الشاعر في مدح الملك فلاح(٢):

تَهْمِي أناملُهُ الهباتِ كَما همَى ... منْ مُرجَحِنِّ المزنِ أوْطَف صيِّبُ
أندَى وأسْمحُ مِن يزيدِ وحاتمٍ ... و أجَلُّ من ربِّ السَّديرِ وأنجبُ
يصْبُو إلى العَلْيا إذا ما غيرُه اطَّ ... بَأَتْهُ عاتكُ أو حَذامِ وزَينبُ
ويضيقُ فُسحُ الأرضِ عن تَعظيمهِ ... والصَّدرُ منهُ فهوَ مِنْهَا أرحبُ
مَنْ جعفرٌ في صدْقهِ مَنْ أكْثمٌ ... في حِلْمهِ مَنْ عامِرٌ مَنْ مُصْعبُ

بدأ الشاعر بتشبيه أنامل الممدوح وهي تهمي بالهبات بجود وسخاء بنزول المطر الغزير من سحابةٍ كثيفة مثقلة بالماء، ولكنه أراد أن يصعد بمرتبة الممدوح ويرتقي بها فانتقل إلى المفاضلة بينه وبين من عرفوا بالكرم واشتهروا

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، ت: عبد الحميد هنداوي٣/١٥٣، المكتبة العصرية–بيروت

(٢) الديوان، ١/١٤٢، ١٤٣ .

بالجود **(أندى وأسمح من يزيد وحاتم)** ليظهر تفوقه عليهما في العطاء والسخاء، كما فضله في العزة والنجابة والدهاء على أشهر من عرف بهذه الصفات **(وأجل من رب السدير وأنجب)** ليجمع له التفوق في الكرم والدهاء والوجاهة .

ولم يكتف الشاعر بإثبات تفوق الممدوح في هذه الصفات وتفاضله على غيره فيها بل أراد تصعيد المفاضلة الصريحة إلى الضمنية؛ للارتقاء برتبة الممدوح وتصعيد منزلته، فتدرج من تفضيله على غيره وتفوقه عليه إلى انحطاط رتبة المفضل عليه وتدلي منزلته أمامه، فالأرض على سعتها ورحابتها ضاقت أمام حلمه ورحابة صدره **(ويضيق فسح الأرض عن تعظيمه)** وهنا نرى المفضل عليه (الأرض) أصبحت دونه في المنزلة وارتقى في المقابل المفضل وصعد، وتظهر في بنية المفاضلة الثقافة الدينية للشاعر، والتأثر بالقرآن الكريم، قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ (التوبة، من الآية/١١٨)، حيث كان الشعراء يغترفون من القرآن الكريم والحديث الشريف نصًا أو روحًا، فصدروا عنها صدور الشذى الفوَّاح عن الأزهار العطرة، وهو ما سمي بالاقتباس[١]، ويؤكد مضمون المفاضلة السابقة ويأتي بالحجة عليها بمفاضلة تقرر صدارة الممدوح ورفعة درجته، فإذا ارتفعت رتبته على الأرض فكيف بمن هم دونها ممن يمشون عليها من البشر **(من جعفر في صدقه من أكثم في حلمه...)** فهم ليسوا بشيء أمامه، وأحقر من أن يكونوا معه في الصفة، وهذا ما أداه الاستفهام الإنكاري .

وهكذا نرى التصعيد والترقي برتبة المفضل من التشبيه إلى المفاضلة الصريحة، ثم التصعيد في المبالغة إلى المفاضلة الضمنية عن طريق رفع

(١) الإسلام والشعر، سامي مكي العاني، صـ٢٠٥، سلسلة عالم المعرفة " تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت، يونيو١٩٨٣.

الممدوح فوق من يضرب به المثل في السعة من الكون، ثم التدرج إلى من يضرب بهم المثل من البشر، ولم يكتف برفعه عليهم بل يزدرى بهم ويحط من شأنهم، لنسيانهم والتغافل عنهم، فالممدوح ليس له مثيل من عالم الكون أو من عالم الأشخاص، وهذه من أعلى درجات المبالغة .

ومن الملاحظ أن الشاعر كما بدأ بالتشبيه في هذا السياق تقديمًا للمفاضلة وتمهيدًا لها **(تهمي أناملـه الهبات كما همى)**، فقد عقب في نهاية المفاضلة بالتشبيه أيضاً؛ لتأكيدها وتقريرها، واحتراسًا مما قد يتوهم منها، يقول: (١)

كالغَيْثِ يُرسِلُ بارِقًا وصَواعِقًا ... طَوْرًا ومنْهُ الأرضُ طَوْرًا تُخصِبُ

كاللَّيْثِ يحرُسُ شِبلهُ طَوْرًا وفي ... عُضْوِ القَنيصَةِ بالمخالبِ يُنشِبُ

كالسَّيل يعمرُ في البلادِ أماكنًا ... طَوْرًا وفي بعضِ الأماكِنِ يُخربُ

كالسَّيفِ ينصُرُ مَنْ تَملَّكَ صدْرَهُ ... ويَجورُ منهُ على المُماصعِ مَضرَبُ

كالبَحْرِ يُغدقُ لُؤْلؤًا وجَواهِرًا ... ويَخافُ منهُ الناسُ حينَ يُعَبْعِبُ

كالشمسِ في كَبِد السماءِ وضوْؤُها ... يزدانُ مَشرِقُها بهِ والمغْرِبُ

فقد يتوهم من المفاضلة في الكرم أو في الحلم وسعة الصدر أنه هكذا على الإطلاق وأنه قد يكون سهلًا فيكون مطمعًا، أو يعتريه أوقات ضعف ولين فيستهان به، فاحترس بالتشبيه؛ دفعًا لتوهم قد يتبادر من المفاضلة، فجمع له بين الصفتين المتناقضتين في الوقت نفسه، فكما أن الغيث ينفع تارةً ويضر تارةً أخرى، فالممدوح في الكرم ليس هناك أكرم منه، وفي الشدة ليس هناك أشد منه، وكما أن الليث يحرس أشباله ويحميهم ويرفق بهم طورًا يفتك بأعدائه ويقضي عليهم طورًا، فهو في الحلم ليس هناك أحلم منه، وفي الغضب ليس هناك أشد

(١) الديوان ١/ ١٤٤.

غضبا منه، وكذلك في جميع صفاته يجمع بينها وبين أضدادها، ولا نغفل الدور الذي يؤديه التضاد هنا من تماسك البنية النصية، " إذ تستدعي المعاني بعضها بعضًا، فمنها ما يستدعي شبيهه ومنها ما يستدعي مقابله . بل إن الضد أكثر خطورًا على البال من الشبيه، وأوضح في الدلالة على المعاني منه " (١)

وقد اقترنت المفاضلة الضمنية بـ **(النفي والاستثناء)** لتأكيدها، ومن ذلك ما جاء في مدح الملك (**يعرب)** يقول الشاعر(٢):

إنَّ المفاخِرَ والمكارِمَ والعُلا أضْحَى لمذْهَبِهنَّ يعرُبُ وارِثَا
مَلِكٌ يفُوقُ بفخْرِهِ حسَّانَ والـ ـنُّعمانَ في أخْلاقِهِ والحارِثَا
ما في المفاخِرِ قَطُّ جاراهُ امْرُؤٌ إلا وعقَّبَه طلِيحًا لاهِثَا

في هذه الأبيات يمدح الشاعر الملك يعرب بامتلاكه للمكارم والمفاخر وبلوغه غاية المجد والعلا، فقد ورث تلك المحامد وتمكن من زمامها **(أضحى لمذهبهن يعرب وارثًا)**، حتى إنه وإن كان وارثًا لها عن أبائه وأجداده إلا إنه لم يقف على حد إرثه بل نماه وأعلاه حتى تفوق في مفاخره ومكارمه على من هم أعلام في تلك الصفات ويضرب بهم المثل فيها، ويرتقي الشاعر ويتدرج بممدوحه من الوصف بالمكارم إلى المفاضلة الضمنية: **(ملك يفوق بفخره حسان والنعمان .....)** وقد جمع الشاعر بين أشهر من عرفوا بالفخر والعزة من الملوك ليعلي ممدوحه ويفضله ويرفع منزلته ومكانته على هؤلاء، فقد تفوق على **(حسان)** في الفخر، وتفوق على **(النعمان والحارث)** في الأخلاق، وهنا نرى التناسب بين تعدد المفضل عليه (حسان–النعمان– الحارث) الذي يتوافق ويتلاءم مع تعدد الأوصاف المراد تفضيله فيها (المكارم– المفاخر– العلا)، فكأنه يرد كل

(١) علم البديع، د/ عبد العزيز عتيق، صـ ٩١، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت ١٩٨٥.
(٢) الديوان،١/ ٢٥٤، ٢٥٥ .

مفضل عليه إلى صفته المشهور بها .

وإذا كان الممدوح ملك متفرد في صفاته وقد تفوق على هؤلاء الأعلام المشهورين إذًا فهو في حاجةٍ إلى تأكيد هذا المعنى وتقريره، ولذا فقد رأينا تأكيد الشاعر للمفاضلة، ومنتهى إلحاحه على الفكرة؛ لإقناع المتلقي بها وتمكينها في نفسه، وذلك من خلال:

- تعدد المفضل عليه .
- تأكيد المفاضلة بالتعقيب الذي صيغ في قالب النفي والاستثناء: **(ما في المفاخر قطُّ جاراه امروٌ إلا وعقبه.....)**؛ والانتقال من التخصيص إلى التعميم، فهو وإن كان تفوق في مفاخره على هؤلاء المشهورين إلا أن تفضيله لم يقتصر عليهم بل تفوقه عام وشامل، ويؤيد ذلك التنكير في قوله **(امرؤ)** فلم يرتق إلى مكانته أحد من الخلق، ولم يجاريه امرؤ إلا وقد أصبح منهكًا لاهثًا من هول ما عاناه ومن شدة ما لاقاه، وهذا يكشف منتهى الفخر والعزة للملك، والمبالغة في تفوقه في ذلك، كما كشف هذا الأسلوب أن " إحساس الشاعر بالمعنى إحساسًا عميقًا، وتعبيره عنه كذلك تعبيرًا عميقًا، والكلام تجسيد لحقائق نفسية، وبناء صوتي لأحوال شعورية، وملامح هذه الحقيقة في النفس هي ملامح هذه الصورة الكلامية، فلما كان إحساسه مؤكدًا ومقررًا في ضميره وشعوره صاغه صياغة مقررة " [(١)] عن طريق أقوى أساليب القصر وهو النفي والاستثناء .
- **<u>أن تتقدم الأوصاف وتأتي المفاضلة لدعمها وتمكينها في النفس.</u>**

وكما تقدمت المفاضلة وتُبعت بما يقررها ويؤكدها، فقد تأتي هي تابعة لأوصاف متقدمة لتوكيدها، أي: تقرير أوصاف الممدوح، التي تبرز مكانته

(١) دلالات التراكيب، صـ ١٠٧ .

وتكشف علو درجته ورفعته، فقد يسوق الشاعر في وصفه معنًى غريبًا، أو يطلق حكما مثيرً وعجيبًا فيحتاج إلى تمكينه في نفس المتلقي وتقريره في ذهنه، وفتح منافذ الحس والعقل له، فيلجأ إلى المفاضلة " كواحدة من الوسائل الحجاجية " [١] فيضع نفسه موضع المحاجج الذي يستقطب مخاطبه بكل وسائل الإقناع والتأثير ليأخذ كلامه مأخذ الصدق، فلا ينتابه تجاه معانيه أدنى شك أو تردد فيما يلقيه الشاعر، وقد جاءت المفاضلة لإقناع المتلقي بأوصاف الممدوح وبحكم الشاعر ومشاعره تجاهه يقول الشاعر في مدح الملك فلاح:[٢]

لـــوْلَا الـمَـلـيـكُ فـلاحُ ضَـا قَـتْ بِـي مسـالِـكُ مَقصَـدِي
يـمَّـمْـتُ سـاحَـتَـهُ وصَـرْ فُ الـدَّهـرِ يـقـرَعُ (جَلْمـدِي)
فحظَـيْتُ مـنهُ بخـيـرِ مُنـ تـجَـعٍ وأعـذَبِ مـوْرد
بفَـتًى ألَـدَّ علَى ارتكـا بِ الـمُشْـكـلاتِ مـعـوَّدِ
بـأجَـلَّ مـنْ كسْـرَى وأسْـ مـحَ فـي الـعـطـاءِ وأجـوَدِ
وأعـزَّ نفْسًـا مِـنْ عـصا مِ ومـنْ إيـاسٍ ومـرْثـدِ

فالشاعر بدأ مفاضلته بإصدار حكمٍ مثيرٍ **(لولا المليك فلاح ضاقت بي مسالك مقصدي)** أي: إعلان الشاعر عن مدى حاجته إلى الملك فلاح، وأنه لا يمكن الاستغناء عنه، فهو غاية الشاعر ومقصده وحياته موقوفةٌ علية، فعدم وجوده هو قضاء على الشاعر وغياب له من الوجود، وهذا الحكم إن كان صادرًا من نفسٍ متيقنة منه، شديدة الانفعال به فلا نفترض ذلك في المتلقي الذي قد يبدو إليه الأمر مبالغةً، أو من باب التزايد، فيسأل عن سبب هذا الحكم، ولماذا كان الملك فلاح خصيصًا؟

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د/ طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ٣٩٩/١، ط: ١٩٩٨ .

(٢) الديوان، ١/ ٣٢٦ .

وهنا نجد الشاعر يعد نفسه بأسلحته القولية التي تؤثر على المتلقي وتعمل جاهدةً على إقناعه، والاستدلال على دعواه التي ادعاها في الممدوح؛ فالنفس تتطلع إلى معرفة السبب الذي من أجله حكم الشاعر هذا الحكم، وعلى رأس تلك الأسلحة الاستدلالية: أسلوب المفاضلة؛ فهو الأقدر على الإقناع؛ لأنه يضع المتلقي أمام شخصٍ حاز أجلَّ الصفات وأعظمها بل تفوق فيها ولم يتقدم عليه أحدٌ، فالملك فلاح كان للشاعر **(خير منتجع، وأعذب مورد)** أي: حاز عنده بأفضل إقامة وأعذب مورد، ورغد العيش وسعة الرزق، وفي الجمع بين الخيرية والعذوبة **(تتميم)** زاد المعنى حسنًا؛ لأن الصفاء والعذوبة يتمم خيرية الإقامة؛ لأن الإقامة قد لا يكسوها صفاء ونقاء، فلذا جمع بين الصفتين، كما أن تعميم الصفة وعدم التقييد بمفضل عليه يزيد المعنى مبالغةً، فيرتقي بمكانة الملك ومنزلته .

وفي الشدة والخصومة على من اعتدى وتجبر يكون ألد في خصامه وعدائه **(ألد على ارتكاب المشكلات)**، ثم ينتقل إلى إظهار جوده وسماحته من خلال تفضيله على من اشتهر بلك الصفات وعرف بها، وهنا يقترن اسم التفضيل بالمفضل عليه الذي بلغ المدى في الصفة **(أجل من كسرى– أعز نفسًا من عصام ومن إياس ومرثد)** فتقوى المبالغة وتشتد، وليس الأمر مقصورًا على تفوقه في صفة بل كملت أوصافه، فعدد له من أسماء التفضيل ما يساعد على تقرير المعنى، وكأنه يلح على المتلقي بقبول حكمه بل والتأثر بتلك الشخصية الفاضلة.

وهكذا وظف الشاعر المفاضلة توظيفًا مثاليًا، كتعليل بلاغي للتأثير على المتلقي وإقناعه بمكانة الممدوح كما أحسها ، والشعراء بطبيعة الحال يميلون إلى التفسير الأدبي، والتعليل البلاغي محاولة منهم في الإفصاح عما يجيش في صدورهم من انفعالات..... لتهيئة نفس السامع لتصديق ما يقال.[١]

(١) مفهوم المبالغة في الفكر النقدي والبلاغي، صـ ١٣٠ (بتصرف) .

ولم يقتصر عطاء الملك فلاح ونفعه على الشاعر بل هو مقصد كل طالب رزق، وقبلة كل محتاج، وهذه حقيقة يؤكدها الشاعر للمتلقين، يقول[1]:

يا طالبَ الرِّزقِ والأيامُ تمْنعُهُ فيما يُحاوِلُهُ في كُلِّ ما طَلَبا
بُشْراكَ لا تأْسَ فيما كانَ فاتَ وَطِبْ في العَيْشِ نَفْسًا فمنك الرِّزقُ قد قَرُبَا
هذِي مرابِعُ بُهْلَى قَدْ أَنَخْتَ بها فالْقِ العَصا واحْطُطَنَّ الكُورَ والقَتَبا[2]
واقْصِدْ فَلاحًا وقَبِّلْ بُسْطَ مَجْلسِهِ وانْشِدْ بِمَفْخَرِهِ الأشعارَ والأدَبا

فالشاعر يزف بشرى لكل من ضاقت به الأحوال وتعسرت به الأمور وخالطه اليأس من سعة الرزق ورغد العيش أن يحط رحاله بمرابع بهلى، يقصد الملك فلاح، منشدًا إياه الأشعار مثنيًا عليه فخره وجوده، وهذه المقدمة التي تشعر بمدى كرم الممدوح ومنتهى سخائه وبأنه أصبح قبلةً ومقصدًا تشد إليه الرحال من مختلف البقاع، في حاجةٍ إلى تمكينها وتقريرها في نفوس المتلقين؛ لإقناعهم بها وأخذها مأخذ الصدق، وهنا تأتي المفاضلة التي تثبت بالدليل الحسي تفوق الملك وارتقائه في الفضل والعطاء على السحاب الذي افتضح أمره وانكشفت حقيقته أمام جدوى الملك ونواله، يقول:

مُمَجَّدٌ فَيْضُ جَدْواهُ ونائِلُهُ إذا هَمَى مُسْتَهِلًا يفضَحُ السُّحُبا
هذا ابنُ نَبْهانَ ذا زاكِي المفَاخرِ ذا ضَخْمُ الدَّسِيعةِ ذا مَنْ للسَّماحِ صَبا[3]
ذا خَيْرُ منْ شَيَّد العَليا وأسبقُ مَن جارى وأسْمَحُ مَن أعطَى ومَن وهَبَا

ولم تقتصر المفاضلة على التقييد بالسحب **(إذا همى مستهلًا يفضح السحب)** بل عدد الشاعر للممدوح أكثر من مفضل عليه **(خير من شيد العليا)**،

---

(١) الديوان، ١/١٥٥ .

(٢) الكور: رحل الناقة بأداته. لسان العرب، مادة (كور) ، القتبا: رحل صغير على قدر السنام، لسان العرب، مادة (قتب) .

(٣) الدسيعة: مائدة الرجل إذا كانت كريمة، لسان العرب، مادة (دسع) .

و(أَسبق من جارى)، و(أسمح من أعطى ومن وهبا)؛ لتتسع الدائرة وتشمل كل من يفترض فيه المنافسة، فجمع له بين الخيرية والسماحة والسبق في الفضل والعطاء، والتفوق في الكرم الذي بلغ فيه الغاية، حتى صار لا يجاريه فيه أحد.

وهكذا جاءت المفاضلة لتتم المعنى وتزيد المبالغة توهجًا وبريقًا، فعندما ذكر الشاعر طلب الرزق والرغبة في تأمين العيش بعد أن ضاقت النفس حسرةً وبؤسًا كان حتمًا أن يقابل هذه الرغبة وذاك الأمل الذي أصبح بشرى تسكن النفوس بمن بلغ في العلا مداه، وفي الجود والسخاء والكرم منتهاه، فجاءت المفاضلة تأكيدًا وتقريرًا لما تقدم من صفات ومكارم، ومحاولةً للتأثير على المتلقي وإقناعه بها " إذ يلتقط الشاعر بحسه وحدسه، مما استقر في أعماق الجماعة التي يعيش معها من مشاعر خفية غامضة، فيبرزها أمامهم مجسمة في صورة تروعهم، وتشعرهم أنه ينطق عما في قلوبهم " (١)

وفي مدح الملك عرار يلجأ الشاعر إلى المفاضلة لإقناع المتلقي بأوصاف الممدوح وتمكينها في نفسه وتوكيدها، يقول(٢):

بِلادٌ بِهَا أضْحَى عَرارٌ بجُودِهِ ... يفُكُّ لنا بابَ السُّرُورِ ويفْتَحُ
فتًى عدْلُه للجَوْرِ ماحٍ وجُودُه ... لعافيهِ مُغْنٍ حينَ يُعطِي ويَسْمَحُ
تظَلُّ علينا من يدَيْه سحائبُ ... تَسِحُّ بوَدْقِ الجُودِ مِنْهُ وتَنْضَحُ

جعل الشاعر الممدوح بابًا للسرور، ومفتاحًا للغنى، محى بعدله الظلم والجور، وأصبح بجوده وسخائه وكثرة هباته وعطاياه مغنيًا لكل فقير، حتى إن عطاياه لكثرتها ودوامها بات يخجل منها الغيث المدرار الكثيف ويُفضح، وهذه الأوصاف قد تبدو بعيدة وأمورًا خارقة، وقد لا يتقبلها المتلقي على وجه الحقيقة

(١) ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، د/ عبد العزيز الأهواني، صـ ١٣، الأنجلو المصرية، ١٩٦٢م .

(٢) الديوان، صـ ٢٧٣ .

بل يأخذها مأخذ المبالغة والتزايد، ولكن انفعال الشاعر بهذه المعاني، وحرصه على تمكينها في نفس المتلقي وإيناسه بها، جعله يلجأ إلى التفضيل وتكرار أسماء التفضيل وتعددها؛ للتأثير على المتلقي وإقناعه بما يمليه عليه، يقول:

أجلُّ ملوكِ الأرضِ قدْرًا ورُتبةً وأدومُهُم في المُلكِ عدْلًا وأفْلحُ

وأنْدَى يدًا مِنْ حاتمٍ وابنِ مامةٍ وأحكمُ من قُسٍّ وأذْكَى وأفْصَحُ

- صياغة المفاضلة في قالب التوكيد.

ومن وسائل التأثير على المتلقي وإقناعه بمكانة الممدوح، صياغة المفاضلة، في قالب التوكيد، وهذه من الظواهر الأسلوبية الملحوظة عند الشاعر، فكما تنوعت مفاضلاته ما بين الصريحة والضمنية، فقد تعددت طرق صياغتها ونسق تراكيبها، فنراه في بعض السياقات يصوغها في قالب الاستفهام، أو في قالب القصر، أو في قالب الشرط، وغير ذلك من الأساليب البلاغية الأخرى؛ لدعم التفضيل ومشاركته في تعزيز مكانة الممدوح، وتأكيد أفضليته وعلو درجته في نفوس المتلقين، وقد صاغ الشاعر مفاضلته في بنية الاستفهام، وذلك في مدح الملك المظفر بن سلطان، يقول [1]:

فقُلْتُ لَها وقَلْبي لِلْـ ـجَوَى والوَجْدِ مَيدانُ

دَعِيني إنَّني لِوُرُو دِ حَوْضِ البِشْرِ ظَمْآنُ

فإنْ يَكُ مِنْ زَمَاني مَسَّني عُسْرٌ وحِرْمانُ

فآمالِي أبُو المنصُو رِ لي يُسْرٌ وإمْكانُ

فهلْ منْ بعْدِ ذا أمَلٌ بهِ يَسْتَنُّ إنسانُ

وهلْ مِثلُ المُظفَّرِ من بني حوَّاءَ سلطانُ

(١) الديوان ٢/ ١١٧٣.

انتقل الشاعر ببراعةٍ فائقة من الغزل والحوار مع المحبوبة إلى المديح الذي استهله أيضًا ببراعة ودقة؛ حيث كشف في مطلع مديحه ما يدور بخلده، وما يرجوه ويأمله من البشر والتفاؤل على يد الملك المظفر؛ لاستعطافه واسترضائه، وحثه على سرعة تحقيق ما يصبو إليه ويأمله، فقد داهمه زمانه ولاحقه بالعسر وسقاه من كؤوس الحرمان والشقاء، حتى أصبح ظمآن إلى مجيرٍ ومنقذٍ مما يعانيه ويتجرعه من زمانه من بؤسٍ وحرمان، فلم يجد إلا الملك المظفر الذي علقت به آماله وتفتحت على يديه أبواب اليسر والبشر بعد سنوات اليأس والعسر، **فهل من بعد ذا أمل .....؟**

وهنا ينفي أن يكون هناك بعد ذلك أملٌ ولو صغير يرجوه، فتنكير كلمة **(أمل)** يفيد التقليل، فمع ما لاقاه من هذا الملك، وما غمره به من فضله وإحسانه فقد اكتملت آماله، وتحققت أقصى غاياته، ولم يعد لديه ما يمنيه أو يرجوه .

وكما نفى تعليق آماله بغير السلطان المظفر، ينفي وجود مماثل له في سلطانه وملكه، وهنا يصوغ مفاضلته الضمنية في ثوب الاستفهام الذي قصد به النفي **(وهل مثل المظفر من بني حوَّاء سلطان؟)** أي: ليس هناك أحد من بني حواء مثل الملك المظفر، وهذا الأسلوب يتلاءم مع حالة الشاعر الانفعالية، ومدى حرصه على استقطاب مخاطبه والتأثير عليه بمكانة الممدوح وإجباره على الاعتراف بعدم وجود مثيل له، فالموقف يدعو إلى الانفعال والتأثر وهو ما يتوافق مع الأسلوب الإنشائي [١]

ولا شك أن الصياغة الاستفهامية أقوى في النفي من النفي الصريح؛ لأنها تحمل المخاطب على التفكير فيقر بنفسه بعدم وجود المثيل، ويكون هذا عن

(١) ينظر: فن القول عند المتنبي (البنية والصورة)، الشاذلي البوغانمي، توفيق قريرة، صـ ٢٥، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس.

اقتناع بمكانة الممدوح ومنزلته، وقد ساعد على ذلك اسم الاستفهام **(هل)** وتكراره، فإن كثرة تكرار الهمزة وهل من دون بقية الأدوات يشي بحرص المبدع على أن تكون مشاركة المتلقي محصورة في الإقرار بهدف المبدع والإذعان لغاية الرسالة من خلال الإقرار أو الإنكار،.... ونزوع الاستفهام نحو التقرير أو الإنكار، وهو أمر تأهلت له الهمزة وهل نظريًا من خلال الوظيفة المشتركة بينهما، وهي طلب التصديق [١]

(١) ينظر: أسلوبيات شعر الخوارج، الطرماح بن حكيم أنموذجًا، صـ ٢١٨ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبجوده تتنزل الرحمات، والصلاة والسلام على صاحب أكمل الرسالات سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد ،،،

فبعد معايشة ماتعة لأسلوب المفاضلة عند الشاعر، ودراسة أنماطه وأنساقه، وتحليل بنيته وعناصره، فقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج، من أبرزها ما يأتي :

١- ظهرت مقدرة الشاعر، وطاقته الإبداعية، وعبقريته في تصوير معانيه، وذلك من خلال تحليل شعره، وتذوق بيانه .

٢- مثل أسلوب المفاضلة ظاهرةً بارزةً في شعر الكيذاوي حيث تردد كثيرًا في ديوانه ولا تكاد تخلو قصيدة منه؛ وذلك لتحقيق هدفه من المدح، وهو المبالغة وتصعيد رتبة الممدوح والارتقاء بدرجته إلى أعلى المنازل

٣- كانت تأتي المفاضلة عند الشاعر بعد تقديم وتوطئة في إبراز مكانة الممدوح، ثم تأتي المفاضلة بنوعيها لتصعيد هذه المكانة، والوصول بها إلى أعلى الدرجات .

١- سلك الشاعر في تفضيل الممدوح مسلك القدماء في مديحهم، فمدح بالمجد والرفعة وعراقة النسب وشرف الآباء والأجداد والشجاعة والفروسية، وقد بلغ الممدوح في هذه الصفات ذروتها، وتفوق فيها على جميع من عداه .

٢- تنوع أسلوب المفاضلة عند الشاعر بين المفاضلة الصريحة والمفاضلة الضمنية، وكانت المفاضلة الضمنية هي الأكثر ورودًا من المفاضلة الصريحة؛ حيث التفنن في الصياغة، والعدول في التركيب عن المألوف المشهور، وذلك لتحقيق أعلى الدرجات في المديح .

٣- تتابع أسلوب المفاضلة عند الشاعر حيث جاء في عدة أبيات متتالية؛ وذلك عندما يبلغ الانفعال بمكانة الممدوح مداه، فتتكاثف المفاضلات وتتعانق، حيث ترسم صورة متكاملة للممدوح، وتحيطه بالعلو من كل جانب

٤- كثيرًا ما كان الشاعر يقرن المفاضلة الصريحة بالمفاضلة الضمنية ويقدمها عليها، ويكون لهذا التقديم أثره البارز في الترقي من المفاضلة الصريحة التي يشترك فيها الممدوح مع غيره، إلى المفاضلة الضمنية التي تصعد درجة الممدوح وتقتضي بالفصل بينه وبين غيره .

٥- ظهر واضحًا استلهام الشاعر للتراث في بناء مفاضلته وتشكيل بنيتها، حيث بناها من التراث الديني والتاريخي، وكان يستحضر من ضرب بهم المثل في الصفة المقصودة ؛ ليعلي ممدوحه على كل من اشتهروا بهذه الصفة ليحقق المبالغة في مدحه .

٦- اتخذ الشاعر من بنية المفاضلة في قالب الجملة الشرطية وسيلة لقبول مبالغته، والإبانة عنها في قالب يقربها من الإمكان والوقوع، ويبعده عن الغلو والكذب .

٧- خلق الشاعر من خلال المفاضلة واقعًا جديدًا للممدوح يخالف المتعارف عليه في أذهان الناس؛ ليعلي رتبته، ويرتقي بمنزلته .

٨- كانت المفاضلة عند الشاعر وسيلة من وسائل التماسك النصي، فلم تكن بمعزل عن السياق بل في كثير من السياقات سبقت بمقدمة مهدت لها وقرنت بخاتمة تؤكدها وتقرر مضمونها، فأمسكت بزمام الأحداث وجعلت النص بنية متكاملة مترابطة الأجزاء ومتلاحمة.

٩- حقق الشاعر من خلال أسلوب المفاضلة ما يطمح إليه ويأمل، وذلك من حيث استدراج الممدوح واستمالته، وهزه للعطاء والمبالغة في الجود والإنعام، ومن حيث التأثير على المتلقي وإقناعه بمكانة الممدوح، وإغرائه بقصده والوقوف على بابه .

فهرس المصادر والمراجع

•القرآن الكريم

١- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، د/ عبد العزيز الأهواني، الأنجلو المصرية، ١٩٦٢م .

٢- إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، الشيخ: سيف بن حمود البطاش، ط: الرابعة، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م .

٣- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود شاكر، ط: المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة .

٤- الإسلام والشعر، سامي مكي العاني، سلسلة عالم المعرفة " تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت، يونيو١٩٨٣.

٥- أسلوب نفي التسوية الصريح في النظم القرآني مواقعه وأسراره، أد/ أحمد السيد طلحة، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

٦- أسلوبيات شعر الخوارج، الطرماح بن حكيم أنموذجًا، د/ مصطفى أبو طاحون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠م .

٧- بلاغة الخطاب، قراءة في شعرية المديح، د/ محمد عبد الباسط عيد، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب .

٨- التشبيه الضمني (شواهده ومصطلحه في مصادر البحث البلاغي والنقدي) د/ عبد الموجود متولي بهنسي، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد التاسع، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م .

٩- التشبيه عند امرئ القيس "دراسة في الإبداع والتقويم والسلوك" د/ محمد إبراهيم شادي، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط: الأولى /١٤٣١هـ-٢٠٢٠م .

١٠-التصوير البياني في شعر المتنبي، د. الوصيف هلال الوصيف، مكتبة وهبة، ط: الثانية /١٤٣٤هـ-٢٠١٣م .

١١-التكرير بين المثير والتأثير، د/ عز الدين على السيد، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، ط: الأولى /١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

١٢-حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية- بيروت

١٣-الحوار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، دراسة بلاغية نقدية، د/ عبد الرحمن الفايد، رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، عام ١٤٢٥ .
١٤-الحيوان، للجاحظ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: الثانية / ١٤٢٤هـ .
١٥-خصائص التراكيب، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: الثامنة/١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م .
١٦-دراسات منهجية في علم البديع، د/ الشحات محمد أبو ستيت، ط: الأولى/ ١٤١٤هـ- ١٩٩٤ .
١٧-دلالات التراكيب، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط: الخامسة ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م .
١٨-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود شاكر، مطبعة المدني- القاهرة، دار المدني بجدة، ط: الثالثة /١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
١٩-ديوان المتنبي، بشرح العكبري، ت: مصطفى السقا، دار المعرفة- بيروت .
٢٠-الزينة، الرازي، تحقيق: حسين الهمداني، ط/ الرسالة ١٩٥٦ .
٢١-الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٣هـ .
٢٢-صورة البطل في شعر أبي تمام، قابل رشيد نافع، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٣٥هـ .
٢٣-الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د/ جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط: الثالثة، ١٩٩٢ .
٢٤-علم البديع، د/ عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت ١٩٨٥
٢٥-العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، ط: الخامسة/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م ،
٢٦-عيار الشعر، ابن طباطبا، ت:عبد العزيز المانع، مكتبة الخانجي- القاهرة
٢٧-فن التشبيه، د/ علي الجندي، مكتبة نهضة مصر ، ط: الأولى / ١٩٥٢ .
٢٨-فن القول عند المتنبي (البنية والصورة)، الشاذلي البوغانمي، توفيق قريرة، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس.

٢٩-قراءة نقدية في النص الشعري القديم، د/ طه عبد الرحيم عبد البر، ط: الأولى/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .
٣٠- الكافية في علم النحو، لابن الحاجب، ت: د/ صالح عبد العظيم الشاعر، ط: الأولى /٢٠٢٠م،
٣١-كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ت: على محمد البجاوي، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ .
٣٢- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت، ط: الثالثة /١٤١٤م .
٣٣-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د/ طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط: ١٩٩٨ .
٣٤-المثل السائر لابن الأثير، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار الجيل- بيروت، ط: الأولى /١٤١١هـ-١٩٩١م .
٣٥-مجمع الأمثال، للنيسابوري، ت: محمد محي الدين، دار المعرفة- بيروت.
٣٦-المدح في الشعر الجاهلي، رؤية جديدة، د/ السعيد حامد شوارب، الجيزة، محمود أجيال لخدمات التسويق والنشر، ٢٠٠٨م.
٣٧-مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن المسعودي، ت: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، ط: الأولى /١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .
٣٨-معجم البلدان، دار الصادر- بيروت، ط: الثانية /١٩٩٥.
٣٩-مفهوم المبالغة في الفكر النقدي والبلاغي، د/ أحمد عبد السيد الصاوي، مطبعة الحاج صالح لطباعة الكتاب الجامعي، ٨٩٧٤هـ- ١٩٩٠م .
٤٠-الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/ الرابعة
٤١-ينظر علم الأسلوب، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثانية ، ١٩٨٥ .